الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية.

قسم: التاريخ .

رقم:

إنهيار الحياة الدينية و الثقافية بالقيروان (449هـ / 1057م) و تجلياتها على المغرب وصقلية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمـــي

تخصص: تاريخ وسيط

إعداد الطلبة :

- جوهرة قشي.
- صلاح منصور.

الأستاذ المشرف

الطاهر بونابي

لجنة المناقشة :

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ (ة)	**المؤسسة الجامعية**	**الصفة**
	جامعة محمد بوضياف –المسيلة	رئيسا
الطاهر بونابي	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2017/2016.

خطة البحث :

المقدمة

الفصل الأول : الاجتياح الهلالي للقيروان و المواقف المختلفة منه.

أولا : الهجوم الهلالي على القيروان.

1- الهلاليين في المغرب الأدنى:

2- حصار القيروان:

ثانيا: الآراء المختلفة حول الاحتياج الهلالي للقيروان

1- آراء المؤرخين

2- آراء المستشرقين

3- موقف الفقهاء

الفصل الثاني :تراجع الحياة الفكرية والمذهبية في القيروان .

أولا: تراجع العلوم الشرعية (المذهب المالكي)

1- أوضاع الفقه قبل سقوط القيروان

2- تقلص الفقه المالكي

ثانيا: انكماش الحياة الأدبية بالقيروان

1- العصر الذهبي للحركة الأدبية الصنهاجية:

2- عصر انحطاط الحياة الأدبية الصنهاجية.

الفصل الثالث: أثر سقوط القيروان على المغرب و صقلية

أولا: الأثر الديني (الصوفي ، الفقهي)

1. المغرب الأوسط
2. المغرب الأقصى
3. صقلية:

ثانيا: الآثار الأدبية

1- أهم شعراء القيروان وبروز شعر الثراء

2- مظاهر تأثير الأدب القيرواني على صقلية:

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الملاحق

الفهارس

كلمة شكر و عرفان

يقول سبحانه تعالى:« لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ »

ويقول صلى الله عليه وسلم : «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

الثناء الجميل على الرازق الجليل الذي أعطانا القوة و الصبر لإنجاز هذه المذكرة، فالحمد الله أولا و آخر .

نتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل المتواضع نخص بالذكر الأستاذ المحترم و القدير "الطاهر بونابي" لتوجيهاته ونصائحه القيمة ومعلوماته المفيدة جزاه الله بكل خير.

وكل من ساعدني في انجاز هذا العمل

صلاح- جوهرة

مقدمة

أ. أهمية الموضوع:

يمثل دخول العرب الهلالية المغرب الإسلامي (443 ه/1051م) وتهديمهم القيروان كمركز إشعاع ديني وعلمي (449ه /1057)، مرحلة جديدة في تاريخ الغرب الإسلامي، إذ أن حضورهم في هذا الإطار الجغرافي، ومزاحمتهم لسكان المغرب ومن ثم تحولهم إلي مصدر قلق دائم للبربر، قد أثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبصورة أكبر على الجانب المذهبي والفكري لحاضرة القيروان خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، إذ كانت المصادر التاريخية وكتب التراجم[1]، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة[2] قد اهتمت بالتاريخ السياسي والعسكري وذكرت في مساراتها بعض الآراء حول الجانب الحضاري في ثنايا كتاباتهم، إلا أن هناك الكثير من الجوانب المذهبية والفكرية لازالت مطمورة في ثنايا النصوص الأدبية، رأينا كشفها من مضانها.

ومن هذا المنظور انصب جهدنا في العمل على جمع الرؤيا الشاملة للآثار الناجمة عن سقوط القيروان على المغرب وصقلية.

فوجدنا أن مجال البحث قد تشعب ففتحنا الموضوع للبحث بناءا على:

أولا: أن الدخول العرب الهلالية القيروان قد أثر في مرحلة الأولى تأثيرا سلبيا على المستوى الحضاري والديني لسكان المنطقة وفي استقرارهم خلال (½ ق 5ه.11م)

---

[1] أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ(ت696هـ/1297م): معالم الإيمان لتعريف بمشايخ القيروان،أتمه وعلق عليه، أبو الفضل ابن ناجي التنوخي (839ه): إبراهيم سبوح، ج3، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968.

-أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي(ت 453هـ/ 1061م): رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

[2] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية – تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من ق 10 الى ق 12 م، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992.

-يوسف أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية، ـ المغرب الأدنى من إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري، ط1، ج 1 ج2، جامعة أم القرى، مكة، 2000.

ثانيا: أن النصف الثاني من ق (5ه /11م) مثل بداية للانهيار الحقيقي للحضارة القيروانية بعد رحيل رموز ومعالم الحضارة عنها من علماء وفقهاء وأدباء.

ثالثا: الرغبة في رصد الأثر الحقيقي لسقوط القيروان على المغرب وصقلية والأندلس بعد ما لمسنا نوع من الإجحاف من طرف المصادر الصقلية خاصة أن الأدباء لم يرصدوا الأثر.

ب. المنهج :

اتبعت في هذا البحث منهج يقوم على التوثيق من المصادر واعتمدنا أسلوب التحليل والإحصاء.

ج. الصعوبات:

كأي بحث أكاديمي لا يخلو من الصعوبات ومن أبرزهم:

- ضيق الوقت وتشعب الموضوع، مع وجود ندرة في المادة العلمية التي وضعتها المصادر فهي لم ترسم صورة واضحة للجانب الذي تناولناه خاصة وأن مكتباتنا تفتقر إلى العديد من الكتب مثل دواوين ابن شرف والحصري .
- تشابه المعلومات في الكتب والمصادر كما أنها تتوقف عند ذكر السيرة الذاتية دون الأثر خاصة ما.
- عدم وجود مراجع علمية متخصصة في العلوم الشرعية وكذلك في الجانب الأدبي مثل كتاب الأريب فيمن ظهر في المملكة التونسية من عالم وأديب.

د. عرض الموضوع:

كان للمادة العلمية المستقاة من المصادر الأدبية والتاريخية والجغرافية أهمية في تقسيم البحث إلى مقدمة تناولنا فيها أهمية الموضوع وإشكاليته والمنهج المتبع والصعوبات ونقد المصادر والمراجع، واستهللنا الفصل الأول بالتعرض إلى الاجتياح الهلالي للقيروان ومواقف جمهور الفقهاء والمؤرخين والمستشرقين .

وفي الفصل الثاني تعرضنا إلى تراجع الحياة الدينية والأدبية في القيروان بعد سقوطها موضحين بذلك كيفية سقوط معالمها الحضارية المذهبية والفكرية، في حين أن الفصل الثالث كان ركيزة البحث وذلك لما حمله من إجابات عن الإشكاليات المطروحة وضحنا من خلاله أثر سقوط القيروان على المغرب وصقلية.

أما الخاتمة فضمنت جملة من النتائج التي توصلنا إليها في البحث بالإضافة إلى التلميح لأفاق دراسية من زوايا مغفلة، مرفقة بملاحق لتوضيح جوانب الموضوع مقتبسة من المصادر إضافة إلى فهارس الأشعار والأعلام والأماكن.

ه. تحليل ونقد المصادر والمراجع:

لكي نثري موضوع بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر متفاوتة الاستفادة منها كتب التاريخ والتراجم والرحلة والنوازل الفقهية ومن أهمها :

- عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808 ه/1405م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر في جزءه السادس وكذلك المقدمة ‘استفدنا منها في فهم مستويات الخطاب التاريخي لمعالجة الظاهرة الهلالية وكتب التراجم التي اعتمدنا عليها بالدرجة الأولى وأهمها:
- الدباغ :(696هـ/1297م) معالم الإيمان لتعريف بمشايخ القيروان واستفدنا به كثير في رصد وتتبع أخبار الفقهاء والعلماء الذين كانوا في القيروان قبل وبعد سقوطها.
- المالكي :(453هـ/1061م:) طبقات علماء افريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم.
- ابن بسام الشنتريني :(542هـ/1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة والذي أفادنا في التعريف والترجمة للأدباء الذين حلوا بالأندلس وصقلية .
- ابن دحية (633هـ/1236م) المغرب من أقار أهل المغرب استفدنا منه في نقل بعض أسفار لشعراء القيروان.

- كما اعتمدنا على كتب النوازل كتاب الونشريسي أبي العباس احمد بن يحي (ت 914ه/1508م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب.

بالإضافة إلى كتب الرحلة مثل كتاب وصف إفريقيا لحسن بن محمد بن الوزان الزياني المعروف ليو الإفريقي.

إضافة إلى جملة من المراجع يطول ذكرها.

وفي الختام نتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان إلى دكتورنا الكريم المتواضع "الطاهر بونابي" على جهده المضني في توجيهنا ونصحنا في إتمام هذا العمل .

الفصل الأول :

الحضور الهلالي في القيروان والمواقف المختلفة منه.

الفصل الأول: الحضور الهلالي في القيروان والمواقف المختلفة منه

خرج الفاطميون من المغرب سنة (362ه/973م)، استطاعوا تأسيس ملك لهم في المشرق إلا أن ذلك لم يغنيهم عن هذا الجزء من خلافتهم وهو ما حذا بهم إلى التحرك عندما أحسوا بخطر انفصاله عنهم، بعدما تركوه في ذمة الزيريين من صنهاجة وفضلوا العودة إلى مذهب أهل السنة ونبذوا المذهب الشيعي بخروجهم عن طاعة العبيديين فكان لذلك بالغ الأثر على بلاد المغرب، فكيف تم ذلك؟

أولا :الحضور الهلالي على القيروان.

أ- الهلاليون في المغرب الأدنى:

بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، خلفوا على افريقية بني زيري والتي انته حكمهم في أخر المطاف إلى المعز بن باديس[1] على ما ذكره ابن الأثير في قوله " سار المعز لدين الله الفاطمي[2] من افريقية قاصدا الديار المصرية مخلفا بلاد افريقية ليوسف بن بلكين بن زيري الصنهاجي[3] خليفة له[4] وإن أول ما فتح به المعز ملكه هو قتله للرافضة ومراسلة الخليفة العباسي، فجاءته الخلعة واللقب من عنده، فمحي اسم بني عبيد من المنابر وقام بتبديل السكة (441هـ/1049م) كما قطع أسماءهم من الرايات والبنود ولبس بالقيروان السواد عام (443 هـ /1051 م) وأمر المعز بصبغ الثياب البيض وأخاط عباءات سود للقضاة والفقهاء والخطباء والمؤذنين.[5]

---

[1] هو المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيد ين مناد الصنهاجي، بويع بالإمامة يوم وفاة أبيه 406 وهو ابن ثمانية سنوات كان يتجنب سفك الدماء توفي 453ه ودامت مدة حكمه 47 سنة . انظر: أبي عبد الله الشيخ محمد بلقا سم الزعيم القيروان: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط1، الدولة التونسية، 1986، ص80 .

[2] أنظر ترجمته: أب وعبد الله محمد,الصنهاجي: أخبار الملوك من بني عبيد وسيرتهم، تح: جلول أحمد البدوي، الؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 48.

[3] نفسه، ص 49.

[4] الكامل في التاريخ تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، (دط)، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت) ص 620.

[5] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص ص277-280.

وبما أن الأمر أل إلى التصريح بلغة بن عبيد على المنابر وقطع الدعوة وقتل المعز لرافضة، أجاز بن وعبيد للعرب الهلالية [1]عبور النيل وقيل أن الذي أجاز لهم عبور النيل ه والوزير الجرجرائي، غير أن جل المصادر اتفقت على أن الذي أجاز للعرب عبور النيل ه والوزير أبي الحسن اليازوري، مستدلين في ذلك إلى تاريخ وفاة الجرجرائي (436ه/1043م) والتي سبقت الهجرة بأعوام، ولم يشهد دخول العرب الهلالية المغرب[2] وفي رواية لصاحب المؤنس في أخبار افريقية وتونس إن المعز بن باديس كان ينادي اليازوري بصنيعته دون بقية الوزراء، فعظم عليه الأمر وتوعد في ذلك المعز[3] فأشار على الخليفة الفاطميين إرسال عرب الصعيد لتأديب المعز من جهة ولتخلص من خرابهم من جهة أخرى فأرسل إلى مضاربهم وزيره وأباح لهم عبور النيل قائلا،" قد أعطيتكم المغرب وملك المعز العبد الأبق فلا تفتقرون " ثم كتب إلى المغرب " فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا" وتم بذلك عبورهم إلى بلاد المغرب[4].

لما بلغ المعز خبر دخول العرب الهلالية برقة احتقرا أمرهم، على حد تعبير ابن الأثير (ت630ه/1233) في حين كان تفكير العرب منصبا حول الوصول إلى القيروان [5] فتقدم أمراء العرب إلى المعز[6]، وشغلهم بخدمته وهم بذلك يتمرسون بجهاته ويدبرون

---

[1] هم قبائل نزلوا صعيد مصر ومواطنهم الأولى في نجد، ونسبهم إلى قيس بن عيلان وهم من عامر بن صعصعة ومن بطونهم الأثبج، دريد، زغبة، انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، (دط)، ج1، دار بيروت لطباعة والنشر، لبنان، (دت)ص651، ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف القاهرة (دت)، ص272.

[2] أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد الترحيني، ط1، ج24، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص116، 202. 56.57..

[3] المؤنس ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص83.

[4] ابن خلدون: العبر، ج6، ص ص 19-20.

[5] القيروان: تقع بين مدينة تونس وتوزر منها إلى الساحل ثلاث مراحل وكانت دار ملك المسلمين بافريقية منذ الفتح اخرج بن وعبيد وبن والأغلب منها ثم ملكوها وتولى عليها بعدهم بن زيري إلى أن خرج منها المعز بعد بغزوة بن هلال، انظر عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، (د.ط)، (د.د)، (د.ت)، ص440.

[6] الكامل في التاريخ، ج9، ص567 .

ويدبرون أمر انهياره بتطلعهم على جميع عوراته[1] إذ استدعي مؤنس وأحسن وفادته، فعرض عليه أن يأخذ من أبناء عمومته رياحا حبذا له، فحذره مؤنس من ذلك، وعرفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة وعدم انقيادهم إلي الطاعة، ثم خرج مؤنس بعد ما عجز عن إقناع المعز برأيه ونادي في قومه، فلما انتهوا إلى قرية تنادوا هذه القيروان ونهبوها من حينما، ولما علم المعز بالخبر اتهم مؤنس بذلك وقبض على أهله وأبناءه[2] فعظم عليه الأمر وقال: "قدمت النصيحة فحاق الأمر بي ونسبت الخطيئة إلي، فكان بذلك أشد القوم ضررا" وبعدها بدأ العرب من قومه في السلب والنهب وقطع الطريق وكان المعز من هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار،لأن العرب قد وسعت عملياتها واستولت على العديد من الأراضي بغية الوصول الى القيروان.[3]

وبعد زيادة عيث تلك القبائل، أحس المعز بخطرهم، فأعد العدة لقتالهم وجمع عساكره فبلغت كما يذكر ابن الأثير (ت630ه/1233م) "ثلاثين ألف فارس وسار بهم إلى حيدران"[4] ثم رحل المعز كما يقول ابن خلدون(ت 808ه/1405م) في أولائك النفر ومن لف لفهم من الأتباع والحاشية والأولياء ومن ايالتهم من عرب الفتح، وانحصر عددهم في ثلاثين ألف[5] ولما رأت العرب عساكر المعز هالهم ذلك وعظم عليهم، فقال لهم مؤنس ما هذا يوم فرار فقالوا أين نطعنهم وقد لبسوا الكاز اغندات والمخافر، فقال في أعينهم وسمي بذلك يوم العيون، انهزم المعز بعد ما خذلته صنهاجة وزناته[6]

وقد خلد هذا النصر احد شقراء العرب الهلالية قائلا :

وأن ابن باديس لأفضل مالك **** ولكن ما عمري ما لديه رجال

[1] النويري: المصدر السابق، ج24، ص118.

[2] ابن خلدون: العبر، ج6، ص14.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص ص 288-289.

[4] الكامل في التاريخ، ج9، ص567.

[5] العبر، ج6، ص15.

[6] المؤنس ابن ابي دينار: المصدر السابق، ص 83.

ثلاثون ألف مهم غلبتهم **** ثلاثة الألف إن ذا لموحال[1]

ب- حصار القيروان:

رحل المعز إلى القيروان بعد هزيمة حيدران، فتتبعته خيول العرب حتى أحاطوا بالقيروان فانبسطوا يخربون البلاد[2] وفي رواية لابن عذراي حول حصار القيروان يقول :" وخيل العرب تسرح حول القيروان في كل جهة والناس يرونهم عيانا بيانا "[3]، كما يؤكد على ذلك الوزان(957ه/1544م) قائلا :" أنهم أقاموا الحصار على القيروان التي تحصن فيها الملك الثائر بكل ما يحتاج إليه من زاد وغيره مدة ثمانية أشهر". [4]

وبات الناس بالقيروان تحت خوف لا يعلمه إلا الله، لا يدرون ما ينزل بساحتهم وأقاموا ليلتين لا يدخل احد ولا يخرج منهم أحد، وهم يرون خيل العرب على بعد أميال من القيروان فأمر المعز الناس أن يتوجهوا إلى القيروان، ويخل والحوانيت بصبرة ولما دخل العبيد وصنهاجة، وعظم الخطب واشتد الكرب ومد العبيد ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت، وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة [5].

وبعد أن تمكن مؤنس من السيطرة على باجة أمر المعز الرعية بالانتقال إلى المهدية[6] فشرع العرب كما يقول النويري(732ه/1332م) في هدم الحصون والقصور

---

[1] ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 568.

[2] التجاني، أبومحمد عبد الله: رحلة التجاني، تق: حسن حسن عبد الوهاب، (دط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 2005، ص 54.

[3] البيان المغرب، ج1، ص 291.

[4] وصف إفريقيا، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر،ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص45.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص45.

[6] مدينة ساحل تونس فى الشرق منسوبة لعبيد الله المهدي بناها في مكان خصيب كما يسمي جزيرة الفام 300ه استولى عليها النورمان 543ه واستردها عبد المؤمن بن علي عام 555ه. أنظر: البيذق، ابوبكر علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص80.

وقلع الثمار وتعمية العيون وخراب الأنهار... وفي أول رمضان نهب العرب القيروان عام (449ه/1057م).[1]

وفي رواية لابن عذاري " وانتهب العرب القيروان وكانت من أعظم مدن الدنيا وبذلك أعطاهم الدنية وناشدهم التقية واشترط المهدية ".[2]

فدخل العرب القيروان وبدأ وفي عمليات السلب والنهب فهذا ابن خلدون(ت808ه/1405م) يصف خراب القيروان قائلا :" وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها فتفرق أهلها في الأقطار فعظمت بذلك الرزية وانتشر الداء وأعطل الخطب ثم نزلوا المهدية وضيقوا عليها بمنع المواقف وإفساد السابلة[3].

وقد أوحى الخراب الذي أصاب القيروان لشاعرها " أبي الحسن ابن الرشيق" في تنظيم أبيات بين فيها حجم الخراب وما انجر عنه قائلا:

فَتَكوا بأمَّةِ أَحْمَدٍ أثراهُمُ ******* أَمنُوا عِقابَ اللهِ في رَمَضانِ

نَقَضُوا كـلعُهُودَ كـلمُبْرَماتِ وَأَخْفَرُوا ******* ذِمَمَ الإلهِ ولَم يَفُوا بضَمانِ

فاسْتَحْسنوا غَدْرَ كـلْجِوارِ وَآثرُوا ******* سَبْيَ كـلْحَرِيمِ وَكَشْفَةَ النِّسْوانِ

سامُوهُمُ سُوءَ العَذابِ وَأَظْهَروا******* مُتَعَسِّفِينَ كَوَامِنَ الأَضْغانِ[4]

لقد كان دخول العرب الهلالية القيروان وتخريبهم لها حدثا بارزا في تاريخها ويعتبر بداية لمرحلة جديدة في تاريخ المدينة.

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب: ج24، ص120.

[2] البيان المغرب، ج1، ص195

[3] العبر، ج6، ص82.

[4] رابح بونار: المغرب العربي –تاريخه وثقافته–، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص ص 361–362.

ثانيا: الآراء المختلفة حول الاحتياج الهلالي للقيروان

لقد تباينت الآراء في الحكم على بني هلال بين ناقم عليهم محملا إياهم كل ما أصاب بلاد المغرب عامة والقيروان خاصة، من أعمال النهب والتخريب وبين منصف لهم من خلال إبراز بعض المحاسن والأعمال الجليلة.

1- موقف الفقهاء :

لقد كان لدخول العرب الهلالية بلاد المغرب وما انجر عنه من خراب نسب إليهم باعتبارهم العنصر الدخيل، وبالنظر إلى ضرورة التعامل معهم أصدرت مجموعة من الفتاوى، عكست موقفهم من العرب الهلالية وقد اختلفوا في الحكم عليها بين التعامل معهم من عدمه، نظرا لعدم التأكد من حلال أوالحرام ما يملكون، ويعود هذا الجدل إلي ما شوهد من خراب وانعدام الأمن أ وما يسمى ب الحرابة[1] من طرف هؤلاء العرب وقد أشار الوزان(ت957ه/1550م) إلى أعمال العنف وانعدام الأمن في طرقات افريقية بعد دخول هذه العناصر له "أما الأعراب المحرمون فقد اخذوا يتعاطون النهب والقتل وارتكاب أفضع الجرائم وكثير ما يتربصون بالكمائن حتى إذا مر بهم مسافر خرجوا وجرده من المال والثياب، ثم فتكوا به فأصبحت الطرق غير أمنة"[2] وهذا السلوك عرفه الفقهاء واطلقوا عليه اسم الحرابة وتوسعت هذه الظاهرة خاصة في المناطق البدوية التي لا تخضع لسلطة المركزية ولا تلتزم بأوامر الشريعة الإسلامية، وباعتبار العرب الهلالية قد مارسوا السلب والنهب فهم محاربون، وقد أجمعت فتاوي الفقهاء، على ضرورة قتال المحارب وهذا ما ذهب إليه الإمام مالك (179ه/795م) وابن سحنون

---

[1] الحرابة: عرفها ابن عرفة بأنها الخروج لاخافة السبيل واخذ مال محروم وقتال أ وخوف أ ولذهاب عقل، ولمجرد قطع الطريق، كل فعل يقصد به اخذ المال على وجه تتعذر فيه الاستغاثة وخلاف لمشرك لائؤمن المحارب .أنظر أب وعبد الله محمد، ابن الشماع: الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح:الطاهر بن محمد العموري، (دط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص ص135-133، انظر البرزلي أبي القاسم احمد اللوى التونسي: جامع الأحكام بما نزل من القضايا للمفتين والحكام، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 202، ص111.

[2] وصف إفريقيا، ج 1، ص48،

وأبو إسحاق وأبو القاسم السيوري، إذ أفتوا بقتالهم واعتبروا جهادهم جهاد نظرا لقول الإمام الملك "جهادهم أحب آليا من جهاد الروم " ونفس الحكم أشار إليه ابن سحنون في المدونة' وما في أخر الجهاد للجلاد"[1]

كما ذهب ابن الشماع إلى القول إذا أخاف المحاربون السبيل وقطعوا الطريق وجب على المسلمين التعاون لقتالهم من غير أن يدعوهم الإمام ووجب على المسلمين التعاون عليهم وكفهم عن أذية المسلمن[2] كما حكموا عليهم بتباعهم وقتلهم مبررين ذلك بأن شوكتهم لا تكسر في معركة واحدة فخافوا من إعادة الكرة، فقد وردت إجابة لابن عرفة في رده على ابن العباس بضرورة قتلهم واستئصال شأفتهم وتكفيرهم وإعلان الجهاد ضدهم والإشارة إلي ثواب مجاهديهم ورجحانه على جهاد الكفار وإتباعهم عند هروبهم واستباحة أموالهم والإجهاز عليهم ولا يشك في ذلك إلا مغرق في الجهل ومعاند في الحق وكل ذلك عندي كفرا[3].

وفي نازلة للونشريسى (ت 914ه/1508م) أجاب القاضي الفقيه الإمام أب ومهدي سيدي عيسي بن احمد ابن محمد الغبريني على نص السؤال المتعلق بالإعراب فأجاب قائلا : " وصل أليا كتابكم المضمن السؤال عن قضية أعراب حرفتهم الحرابة... يسفكون الدماء ويقطعون الطريق وينقضون للغارات ويخيفون البلاد ويأخذون النساء ولاتنالهم أحكام السلطة، وأنكم أفتيتم بجهادهم وقتلهم وإتباعهم واستباحة أموالهم واستظهرتم بعض نصوص المذهب الملكي وطلبت ما عندي في القضية[4] فأقول: جميع ما أفتيتم به في القضية حق وصواب ولا يحل لمسلم مخالفة وإنكاره وكذلك يجب إتباعهم والإجهاز على جريحهم.[5]

---

[1] أبو العباس يحي، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج6، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ص ص153-156. (د،ت)

[2] الادلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، ص135.

[3] الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص ص153-156.

[4] نفسه، ج6، ص ص155-156.

[5] الونشريسي: المصدر السابق، ج6، ص ص155-156.

وقد أفتوا إبن الرماج ترجمة للمؤلف بضرورة إعادة ما أخذه المحارب لأصحابه أ وتقديم تعويض لهم وهذا ما افتي به أبو القاسم السيوري بعد وجود صعوبة في تحديد ملاك الأراضي بالقيروان بعد خرابها وعودة الناس إليها نظرا لقلة الشهادات وصعوبة الحصول على عدول فأفتى بإعادة المحارب لكل ما أخذه لأصحابه الأصليين وتقديم تعويض لهم وعدم إعادته لهم لا يسقط عنه حد الحرابة. [1]

وهناك من الفقهاء من أحس بخطر هؤلاء الأعراب باستدراجهم إلى التوبة إذ أفني ترجمته لابن الرماح[2] بإبقاء بعض المال لدى المحارب حتى لا يقطع السبيل مرة أخرى.[3]

2- مواقف المؤرخين:

لقد حمل الكثير من المؤرخين خراب القيروان إلى العرب الهلالية، واصفين إياهم بالمخربين والمفسدين ولعل ابرز من أيد هذا الطرح ه والمؤرخ المغربي " ابن خلدون (808هـ/1405م)" بحكم مجاورتهم إذ بين طبيعة العنصر العربي في التوحش بقوله "

[1] الهادي روجار إدريس، المرجع السابق، ج2، ص ص116- 115.

[2] محمد حسن، المدينة والبادية في العهد الحفصي، (دط)، ج2، شركة أوربس للطباعة، تونس، 1999، ص 663.

[3] سئل المازري عن رجل مستغرق الذمة أراد التوبة فأستفت الفقهاء موضعه، فأمر بتقديم ما في يده ويحمل كل ما حصل عليه من ذلك، فهل يجوز مبايعة قوم يبايعون العرب وهل مبايعته حلال أم حرام ؟ وهل يجوز صرف ما يلزمه من زكاة الزرع فيما حصل عليه من التقويم حتى يعرف ما ترتب عليه منه وأن يضاف إلى القيمة صداق امرأة وه ومائة دينار مرابطية، هل هذا الصداق والقيمة يسقط عليه زكاة الزرع.

فأجاب [أن البسط يطول في هذا أ ويقصر على ما يرحي في هذا ما فيه الرشاد فأما استباحة المال الذي يكسبه من وجه لا يحل بالتقويم والصدقة بقيمة فأعلم أن هذا الرأي اشتهر عنه من يفني في هذا الزمان فليس بأصل .

والأصل التبري منه وإزالة اليد عنه وصرف عن ما يستحقه على الفور لكن ما على من أراد التوبة من الأعراب وغيرهم بأن يخرجوا عن كل ما في ايديهم ويصيروا فقراء لم يسهل عليهم ذلك وكان داعيا لهم الى بقائهم على ما هو عليه من استغراف ما تحت ايدهم من أموال المسلمين وقطع السبيل فرارا من الاجتهاد أن ينقلوهم عن غضب رعيتهم لقطع سبلهم فان أيدهم من الأموال، قد لا يطيعون في ذلك وتؤدي مخالفتهم إلى البقاء على ما هم عليه من فرار من المصلحة ومن تأخير الاخراج لهذا المال، وتباح لهم التجارة فيه ويخرجون قيمته شيئا بحسب ما يسهل منا ذلك، البرزلي: المصدر السابق، ج4، ص ص 497-499.

إن العرب بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل عيث ينهبون ما قدروا عليه من غير مبالغة ... وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أموال الناس حد ينتهون إليه"[1]

وابن خلدون بهذا يبين أن القبائل الهلالية باعتبارهم أهل بد وفهم بعيدين عن الحضارة ولا يرون في العمران إلا مجالا للغزو والنهب، كما أشار إلى أعمال العنف وما حل بالقيروان من خراب وتدمير جراء الاجتياح الهلالي قائلا :" واكتسحوا المكاسب وخربوا المباني، وعاثوا في محاسنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لأهل بلكين في قصورهن وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها".

وإن كان ابن خلدون قد لخص وحمل أقوال مؤرخين العصور الوسطي فيما وجه إلى العرب الهلالية، فقد حذي حذوه مجموعة من المؤرخين.[2]

فهذا ابن الأثير(630ه/1233م) يشير أيضا إلي أعمال العنف والخراب الذي حملته العرب الهلالية للقيروان قائلا :" وشرعت العرب في هدم الحصون وقطع الثمار وتخريب الأنهار"[3]، كما حنا منحاهم أيضا النويري في الحديث عما ألحقه العرب بالقيروان وافريقية واصفا ذلك بقوله " وتتابع الاثبج ورياح وعدي فدخلوا افريقية فقطعوا السبيل وعاثوا في البلاد وقطعوا على الرفاق وافسدوا الزرع وقطعوا الأشجار وحاصروا المدن، فذاق الناس وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم وحل بافريقية من البلاد ما لم يحل بها مثله قط[4]، وهذا لسان الدين ابن الخطيب يؤكد على ما ذهبت إليه المصادر التاريخية بقوله " فعبر خلق عظيم شقي بهم المعز ومن بعده إلى اليوم، فنسفوا البلاد ويتموا الأولاد وانتهبوا الطارف والتلال وحسبك بدخول مدينة القيروان وقيعة شنيعة إلى اليوم فالخطب بها لا يرفع والوطن الخطيب الرحيب قفر، بلقع

[1] المقدمة: م: خليل شحاتة، ط1، دار الفكر، بيروت، 2001، ص189.

[2] العبر، ج6، ص21.

[3] الكامل في التاريخ، ج9، ص567.

[4] نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص118.

"[1] في حين أن ابن أبي الضياف اتهم العرب الهلالية بالقتل وبيع القيروان بقوله " ولما اشتدت وطأتهم خرج المعز من القيروان سنة تسع وأربعين وأربعمائة مع خفير من العرب ودخلوا القيروان وعاثوا فيها الخراب وقتلوا أكثر أهلها بل باعوها[2]

من خلال ما ورد في كتب التاريخ والرحالة نلاحظ، نوع من المغالاة في وصفهم للخراب الذي حل بالقيروان عقب دخول الهلاليين، إذ صوروهم بأبشع الصور واصفين إياهم بمختلف النعوت حتى صار اسم الخراب حكرا على بن هلال دون أن يراعوا في ذلك طبيعتهم وسياسة الإقصاء والأبعاد التي انتهجتها السلطة الحاكمة في المشرق.

كما يمكن أن نشير أن الخراب الذي ألحقه العرب الهلالية بالقيروان ليس الخراب الوحيد في تاريخ الشعوب صدق وقد سبق وأن حدث تخريب كان أوسع من التخريب الهلالي مثلما أحدثته الكاهنة بمنطقة الأوراس.

3- آراء المستشرقين:

إن الاهتمام بالقبائل العربية الهلالية ضمن الدراسات الإستشراقية الفرنسية والانجلوسكسونية قد ورد بقلة ومن بينها دراسات ' جاك بارك'[3] وآراءه المستوحاة من نظرية ابن خلدون وكذلك ' الفرد بل' صاحب كتاب "الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا "إذ وصف بن وهلال بالمخربين والمدمرين في قوله " وهكذا تقدم إلى الأرض الموعودة هذه الأوزاع من البد وبقيادة زعماء منهم بد ومخربين مثل الجنود البسطاء ينشرون الخراب في طريقهم ... فهم لم يؤسسوا شيء بل خربوا ودمروا "[4].

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي، تح: احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص73.

[2] انحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة لشؤون الثقافية والأخبار، ط2، الدار التونسية، 1976، ص174.

[3] Ja que borque: maghehe histoire et société ، « fociologie novelle situation، imprimerie national ، 1872.

[4] الفريد، بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح إلى اليوم، تح: عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1987، ص ص212-213.

الأمر نفسه ذهب إليه صاحب كتاب "تاريخ إفريقيا الشمالية "بإطلاق صفة النهب عليهم بقوله " فنقضوا على إفريقيا وخربوا القيروان وعاثوا الفساد في البلاد، فأصبحت أثر بعد عين"[1]

أما ' روبر برتشفيك' فقد استعمل مصطلح الكارثة الهلالية لتعبير عن رأيه حولها[2].

وقد أكد الهادي روجا إدريس وعمم في كتاباته مصطلح الكارثة الهلالية من خلال الجزم بأن وصول الهلالين المغرب يعد ضربة قاضية للحضارة ونهاية العصر الذهبي.[3]

أن أراء هؤلاء المستشرقين تظهر الحقد الصليبي الدفين، لما هو عربي ومسلم ومبرراتهم في ذلك هو نقلهم عن ابن خلدون(ت808ه/1405م)، وأن كل هؤلاء الباحثين أخذوا نظرة ابن خلدون وفهموها فهما جزئيا ضيقا فهم لم يتناولوا كل مستويات خطابه المتدرج في ميلهم بعد ذلك نح وحياة الاستقرار ومزاولتهم الزراعة وإنشاءهم القصور كمظهر من مظاهر الاستقرار.

[1] شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة ، (د.ط)، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس (د.ت)، ص96.

[2] روبر برا نشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من 13 إلى نهاية القرن 15، تر:حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص31.

[3] الدولة الصنهاجية، ج2، ص7.

الفصل الثاني :

تراجع الحياة الفكرية والمذهبية في القيروان

الفصل الثاني : تراجع الحياة الفكرية والمذهبية في القيروان .

لم يلمع في تاريخ المغرب الإسلامي اسم مدينة مثل مدينة القيروان، ولا ازدهر عصر بعد الفتح الإسلامي كعصر القيروان، فطيلة أربع قرون من الزمن وهي سيدة الحضارة في الغرب الإسلامي، ومركز العلماء ووجهة الفقهاء وكعبة طلاب العلم، إلى أن دخلت في وحل الفتن والحروب منذ النصف الثاني من القرن الخامس للهجري، الحادي عشر ميلادي فبدأت بذلك مرحلة التفتت والضعف في النشاط العلمي والفقهي.

فكيف تهاوت أم الحضارة وقاعدة الغرب الإسلامي، فتقلصت فيها ظلال الآداب وانكمشت بها تعاليم الفقه فتهاوى ركن العلوم الشرعية والأدبية.

أولا: تراجع العلوم الشرعية (المذهب المالكي)

أ- أوضاع الفقه قبل سقوط القيروان

أن أول ما ظهر في إفريقية من علوم الشريعة كان في القيروان، ولعل ابرز إسهام لها في الحضارة العربية المغربية هو دورها الديني والروحي في ترسيخ العقيدة الإسلامية في المغرب الإسلامي وكان السبق في ذلك للفقهاء العشر[1] الوافدين إلى بلاد المغرب من طرف الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه أبناء إفريقية[2] مشكلين بذلك الطبقة الأولى للفقهاء، فنشطت المعرف الدينية حتى إذا مال الأمر إلى الأغالبة والتي تنامي دور القيروان الفقهي خلالها على يد رجال بوبوا المسائل الفقهية، أبرزهم "أسد ابن الفرات" ثم

[1] هم الذين أرسلهم عمر عبد العزيز مع الوالي أبي مهاجر دينار، وهم (أب وعبد الرحمان بن يزيد المعافري، أبو المسعود، سعيد بن مسعود التجيبى إسماعيل بن عبي الأنصاري، أبو الجهم عبد الرحمان بن رافع التنوخي، أبو سعيد جعثل بن عمير الرعيني، إسماعيل بن عبد الله ابن أبي مهاجر وحيان بن أبي حيلة الفرنسي، عبد الله بن المغيرة الكتاني موهب بن حي المعافري، طلق بن حابان القاسي، أنظر: ابن الوردان، تاريخ مملكة الاغالبة، تح: محمد زينهم محمد فربة، ط1، مكتبة مدبولي، 1988، ص ص25-26.

[2] حسن حسن عبد الوهاب: الإمام المازري،(د،م)، (دط)، دار الكتب الشرقية، تونس، ص 10.

يأتي المؤسس الأول لمدرسة الفقه المالكي[1] "أبي سعيد سحنون"، وقد واصل تلاميذه من بعده إنضاج هذا المذهب بالتبحر في أبوابه وتفسير أقوال من تقدمهم وتوضيح أرائهم فظهر "محمد بن سحنون" بمؤلفاته المختلفة فبلغت القيروان مبلغ عظيم آنذاك في الفقه وانتشر المذهب المالكي الذي نشأ في المدينة وكان له شرف التدوين بالقيروان[2]، ولقد حظي هؤلاء الفقهاء بمكانة مرموقة في المجتمع القيرواني وحضوا بنوع من التبجيل وذلك بالنظر لما قدموه من علم وفقه ونقف في ذلك عند الحشود التي كانت تحضر جنائزهم والمراثي التي كانت تقام فيهم فلما توفي "محمد بن سحنون" ضربت الاخبية حول قبره وأقام الناس فيها شهور كثيرة[3]، أما العصر الصنهاجي، فيعتبر بحق ازهي عصور الثقافة القيروانية ظلت خلاله تتزعم الحركة العلمية والفقهية دون منازع[4] فنشطت خلاله الحياة الاجتماعية بمختلف مقوماتها الفكرية والمذهبية إذ عرفت تحولا كبير، تمثل في الخروج عن إرادة الدولة الفاطمية الشيعية وتأصل المذهب الملكي السني كنتيجة حتمية لسيطرة الفقهاء، وأسرار شيوخ المالكية على مطالبة المعز بخلع دعوة بن عبيد[5]

فقد ذكر ابن خلدون (808ه/1405م)،ان آذان المعز كانت صاغية لأهل السنة وكان أبرزهم أب وبكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي[6] فبلغ المعز في ذلك مناه مستجيبا لرغبة رعيته ، فتمتعت البلاد بالاستقلال زهات العشرين سنة، بلغت خلالها

[1] المالكي: مصدر السابق، ج1، ص254،

[2] نفسه، ج2، ص253.

[3] نفسه، ج1، ص443 وما بعدها.

[4] يوسف حوالة: المرجع السابق، ص 150

[5] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام (السياسي الديني الثقافي والاجتماعي)، (دط)،ج4،دار الجليل،بيروت،2001، ص226.

[6] ابن خلدون: العبر، ج6، ص16،

القيروان ذروة التطور الحضاري وقمة التفقه المذهبي وفي هذا يصف شاعرها ابن الرشيق حالة الازدهار والرقي الحضاري ويشيد بفقهاء القيروان وعلماءها في قوله :

كَمْ كانَ فيها منْ كِرامٍ سادةٍ****بيضِ كـلْوُجوهِ شَوامِخِ كـلإِيمانِ

مُتَعاونِينَ على الدّيانةِ والتُّقى**** لله في كـلإِسْرارِ وَالإِعْلانِ

وَمُهَذّبٍ جَمّ الفَضائِلِ باذِلٍ****لِنَوَالِهِ وَلِعِرْضِهِ صَوّانِ

وَأَئِمّةٍ جَمَعُوا العُلومَ وَهَذّبُوا****سُنَنَ الحَديثِ وَمُشكِلَ القُرآنِ

عُلَماءَ إِنْ سَاءَلْتَهُمْ كشَفُوا الْعَمَى****بِفَقاهةٍ وَفَصاحَةٍ وَبَيانِ

وَإِذا دَجا اللّيْلُ البَهيمُ رَأَيتَهُمْ ****مُتَبَتِّلِينَ تَبَتُّلَ الرُّهبانِ[1]

ب- تقلص الفقه المالكي :

وبينما تمضي القيروان في مجدها وازدهارها الحضاري، يرميها الزمن بداية دهياء زعزعت منها القواعد وردتها على الأعقاب، فأختل توازنها وانهارت حضارتها ، لما وصلت إليها القبائل البدوية من بني هلال[2]، وما إن وطأت أقدامهم ارض القيروان حتى انطفأ شعاعها الفكري والحضاري، ولا عجب باعتبارهم قبائل بد ولا علاقة لهم بالحضارة فلم يقدروا قيمة الحضارة التي طمسوها وفي ذلك يصف أبن خلدون (ت 808ه/1405م) دخولهم قائلا: "وجاء العرب ودخلوا البلد واكتسحوا المكاسب وخربوا المباني وعاثوا في محاسنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها فأستصفوا ما كان لأهل بلكين من قصورها وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها "[3] فكانت بذلك القضاء المبرم على حضارة افريقية العربية، وتكاد تجمع أغلب المصادر على أن دخول العرب الهلالية القيروان (446ه/1057م)يعني نهاية الحضارة بالقيروان وفي هذا ما أشار إليه

[1] رابح بونار: المرجع السابق، ص361.

[2] حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 07.

[3] العبر، ج6، ص21.

الادريسى(560ه/1165م) في قوله "فسلط الله سبحانه عليها العرب وتوالت الجوائح[1] عليها حتى لم يبق منها إلا أطلال دراسة وأثار طامسة" [2]، ويشير من خلال قوله هذا إلى عدم وجود معالم حضارية واضحة، فقد رحل أهل العلم والفقه عنها ، فكان الاجتياح الهلالي سببا في دك الصرح الصنهاجي وطمس معالم الحضارة فيه[3]، فحمل الفقهاء علومهم وشدوا الرحال إلى خارج القيروان هروبا من نار الفتنة، فلم يبقى من فقهاء المالكية إلا بعضهم أشارت إليهم كتب التراجم، أبرزهم الفقيه والإمام عبد الخالق ألسيوري خاتمة علماء إفريقية وأخر شيوخ القرويين، فقد بقي بالقيروان بعد خرابها ولم يغادرها إلي أن توفي بها[4] كما يشير الدباغ إلى أن الفقيه المالكي صاحب كتاب رياض النفوس قد شهد خراب القيروان وبقي فيها لمدة. [5]

ثم انقرضت طبقة الفقهاء بالقيروان بعد الخمسمائة على حد قول ابن ناجي : "ثم انقرضت هذه الطبقة بعد الخمسمائة سنة ولم يبق بالقيروان من له اعتناء بتاريخ لاستيلاء مفسدي الأعراب على إفريقية وتخريبها وإجلاء أهلها الى سائر بلاد المسلمين وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك الى أن من الله على الناس بظهور دولة الموحدين ... فظهر بظهور إفريقية العلماء والصلحاء وذلك في سنة الأخماس خمس وخمسين وخمسمائة والله اعلم "[6]

وعليه يمكن القول أن جل الفقهاء قد غادروا القيروان بعد خرابها إلي مدن الساحل التونسي، ولبني حماد والمغرب الأقصى، فسقط بذلك لواء العلوم الشرعية وتقلص ضلال الفقه ، فأقبرت المدرسة المالكية بالقيروان وخرجت المختارات عن قواعد المالكية فما بناه الفقهاء المالكية في أربعة قرون قضى عليه الهلاليون في أقل من عقد قرن.

---

[1] الجوائح: وهو الاستئصال، يقال: جاحَ الشيءَ، يجُوحُه، أي: استأصله، واجتاحَ العدوُ مالَه، أي: أتى عليه

[2] نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص146

[3] الرصاع، أبي عبد الله محمد الأنصاري : فهرست، تح،محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ص66.

[4] محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (دط)،المطبعة السلفية، القاهرة،1349ه،ص117

[5] الدباغ: المصدر السابق، ج3،ص 190.

[6] الدباغ: المصدر السابق، ج3،ص ص 203-204.

ثانيا: إنكماش الحياة الأدبية بالقيروان.

إن هزيمة المعز ودخول العرب الهلالية القيروان عام (449ه 1057م)مثل الحدث البارز والأكثر في تاريخ الغرب الإسلامي خلال(ق5ه/11م) وذلك بالنظر إلي الانعكاسات الهائلة وما خلفته من آثار وخيمة لم تقتصر على القيروان و المغرب الأدبي فحسب بل بلغ صداها كامل الغرب الإسلامي .

أ- العصر الذهبي للحركة الأدبية الصنهاجية :

لقد مست أثار الهزيمة جميع مناحي الحياة (الاقتصادية والاجتماعية) وكذلك الفكرية خاصة إذا ما ربطناها بتلك الجوانب فقد كانت وليدة لتلك الظروف الجيدة آنذاك قبل (449ه/1057م) فهي التي غذت الحياة الأدبية والفكرية بالقيروان وبتدهورها،تدهورت معها الحياة الفكرية [1]

وفي هذا يشير المراكشي(ت647ه/1279م) بقوله "وقد كان لانهيار الحياة الاجتماعية والاقتصادية في القيروان أثر كبير على الجانب الحضاري فقد كانت الثقافة تستمد ازدهارها من عاملين أساسين هما الطمأنينة والاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادية والترف"[2] مع العلم أن ممثلي الحياة الفكرية في القيروان من أدباء وشعراء كانوا ضمن البلاط الصنهاجي، والذي عرف عهدهم بالعصر الذهبي للحركة الفكرية كما يصف ابن خلدون (ت808ه /1405م): "كان ملكهم أضخم ملك عرفته البربر بإفريقية وأترفه وابذخه" [3] وخاصة على عهد أمير المعز بن باديس والذي حرص كل الحرص

---

[1] تردي الأوضاع الاقتصادية وتقلصت الأراضي الزراعية في المغرب وقل الإنتاج الفلاحي وهجر الناس مزارعتهم لذلك عم الغلاء في كامل البلاد وخلخلت الهجرة النظام الاقتصادي واضطر الناس لبيع ممتلكاتهم، أنظر عبد الحميد خالدي،الوجود الهلالي السلبي في الجزائر ط1، دار هومة،الجزائر،2005،ص170، أنظر أيضا الادريسى:المصدر السابق، ص146.

[2] عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص441.

[3] العبر، ج6، ص210.

على ألا تكون بلاطاته أقل روعة من بلاطات صقلية والأندلس والقاهرة[1] فأفاء على الأدب والأدباء بالتشجيع والرعاية، وأجزل العطاء لشعراء على حد تعبير ابن عذارى " مدحه كثير من شعراءه فأجزل العطاء "[2]، ومن بينهم الشاعران المتلازمان "ابن شرف وابن الرشيق" والذي سوف يأتي الحديث عنه في الفصل الموالي، فقد كانوا متقدمين عنده على سائر من في حضرته يثير بينهما عوامل المنافسة فتنافسوا وتنافروا وتهاجوا[3] يتحدث أبن دحية (633ه/1236م) عنها فيقول : طلب المعز من كلا الشاعرين آن يصنعا له أبيات من الشعر حول الموز على قافية العين ولم يقف أحدهما على شعر الأخر فأنتجا نفس الشعر مع اختلاف في تقديم الأبيات وكان المعز يستمتع بمناظرات الشعر بين الشاعرين فيقول ابن الشرف:

يحبذا الموز وإسعاده *** من قبل أن يمضغه الماضغ

لان الى أن لا محس له *** فالفم ملإن به فارغ

سيان قلنا مأكل طيب *** فيه وإلا متسرب سائغ

ابن الرشيق :

موز سريع سوغه *** من قبل مضغ الماضغ

مأكله لأكل *** ومتسرب لسائغ

[1] يوسف حواله، المرجع السابق، ج2، ص143.

[2] بيان المغرب، ج1، ص298

[3] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، _إرشادات الأريب إلي لمعرفة الأديب_تحقيق:احسان عباس,ط1,ج1، دار الغرب الاسلامي,بيروت، 1993، ص ص 26-36.

فالفم من لين به *** ملإن مثل فـــــارغ[1]

إن كل هذا انما يوحي بأن الحياة الفكرية في البلاط الصنهاجي كانت في أوج تفوقها وكان البلاط يعج بالأدباء والشعراء، والملاحظ أن الأدباء كانوا شاملين ملمين بمختلف الفروع فقد كان بعظهم يجمع علوم اللغة بالعلوم الشرعية وعليه فقد كانوا موسوعيين.

ويقول ياقوت الحموي (628ه/1231م)كانت القيروان علي عهد المعز وجهة العلماء والأدباء تشد إليها الرحال من كل فج لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم وعنايته.[2]

ب- عصر انحطاط الحياة الأدبية :

بدخول العرب الهلالية وانهيار السلطة الزمنية برحيل المعز من القيروان إلى المهدية انهارت الحياة الفكرية وتهاوى سلطان الشعر والأدب برحيل الأدباء والشعراء الذين فجعوا في أمنهم واستقرارهم، فخرجوا من القيروان يبحثون عن بلاط أمن كالبلاط الصنهاجي[3]، وأضحت القيروان خاوية على عروشها يهيم أهلها في أصقاع الأرض العريضة ففارق العلم والأدب ربوع القيروان[4]، ويصف ابن شرف شاعرها الكبير احد ضحايا الاجتياح الهلالي وكان ممن شردوا، يصف حال القيروان وما آلت إليه من تقهقر واندثار، معالم الرقي والازدهار الحضاري وتراجع مكانتها العلمية والأدبية بين سائر الحواضر الإسلامية فيقول :

---

[1] المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري حامد عبد المجيد وآخرون، (دط)، دار العلم للجميع، بيروت، (دت)، ص68.

[2] معجم الأدباء، ج6،ص2634

[3] مقلد الغتيمي:موسوعة المغرب العربي_المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحدين_ط1,ج3,مكتبة مدبولي,القاهرة,1994،ص173.

[4] حسن حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص08.

ترى سيئات القيروان تعاظمت *** فجلت عن الغفران والله غافر

تراها أصيبت بالكبائر وحدها *** الم تكن قدما في البلاد الكبائر[1]

ويصف في البيت الأخير هجرة النخبة من أبناء القيروان الذين فضلوا الرحيل إلى بلاطات صقلية والأندلس، لنيل وتحقيق مزيد من الشهرة.

ترحل عنها قاطنوها فلا ترى *** سوى سائر أ وقاطن وه وسائر[2]

وقد أشار أيضا وأكد الشاعر عبد الواحد أب والفضل البغدادي أنه لم تعد لهم ضرورة لبقائهم بالقيروان بعد سقوط ملك المعز لأن حياتهم الأدبية وأشعارهم كانت رهن الاستقرار السياسي والترف الذي تعودوا عليه في قوله:

ومُعَنَفْ لِي فِي المَقَامِ ضَرُورَةَ *** بِالقيْرَوَانَ ومَابهَا مِنْ سُلطانْ

القي الهوان بها وكم من غزة *** قد ساقها نَحْ والرِجالُ هَوانْ[3]

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن خراب القيروان كان له أثر كبير على الحياة الفكرية والمذهبية بها، فبعد أن كانت حاضرة المغرب وأم العلوم ومركز الدراسات الفقهية وكعبة العلماء والشعراء صارت أرض خالية من ملاح الحضارة ففرت منها طبقة النخبة ومعلمها الحضاري ولم يبق فيها ألا الصناع والفلاحون وهذا ما أكدت عليه كتب الرحالة لما زار والقيروان، فهذا عبد الواحد المراكشي يصفها بعد أن زار تونس(614ه/1217م) " فإنتهبتها الأعراب وخربتها وهي إلى اليوم فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البرية بعد أن كانت دار العلم بالمغرب ينسب إليها أكابر

[1] الدباغ : المصدر السابق،ج3،ص194.

[2] الدباغ : المصدر السابق،ج3،ص194.

[3] نفسه، ص195.

العلماء فألف الناس حول علماءها الكثير ومن كان بها من الزهاد والصالحين والفضلاء والمتبتلين [1]

ويؤكد على ذلك أيضا الوزان لما زارها عام (922ه/1516م) " بعد أن خرب الأعراب القيروان أخذت في الوقت الحاضر تمتلئ بالسكان ولكن بكيفية بائسة وليس بها الآن غير صناع الفقراء أكثرهم يصبغون جلود الماعز ويبيعونها "[2] .

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 441.

[2] وصف إفريقيا، ج2، ص91.

الفصل الثالث:

أثر سقوط القيروان على المغرب وصقلية

الفصل الثالث: أثر سقوط القيروان على المغرب وصقلية

بعد أن فقدت القيروان الطمأنينة السياسية والاقتصادية والأمنية، جراء الاجتياح الهلالي عليها(½ ق 5ه/ق11) والذي أضحت من خلاله خرابا تلتهمها النيران، وتحصد أهلها سيوف السفاحين من الغزاة، ففجع الناس في أمنهم واستقرارهم وخرجوا يبحثون عن ملاذ أمن يقيهم شر ما حل ببلدهم خاصة طبقة النخبة من علماء وشعراء وفقهاء بعد ما كانوا ينعمون بالترف والرخاء، ولما كانت الوقيعة انتشروا في البلاد الآمنة لعلهم ينقضون ما يمكن انقاضه من علومهم المختلفة.[1]

فقصدوا المغربين (الأوسط والأقصى) بالإضافة إلى العدوة الشمالية من المتوسط (الأندلس وصقلية) وهذا ما نستشفه من قول حسن حسن عبد الوهاب" يهيم أهلها على وجوههم في أرجاء الأرض العريضة ما بين أصقاع المغرب والأندلس" [2] مخلفين بذلك أثار، نتيجة لما حملوه معهم من القيروان إلى الحواضر الأخرى من علومهم المختلفة، فشكلوا بذلك مراكز علمية خليفة للقيروان كالمهدية وبني حماد وتلمسان وفاس[3] ومراكش فكيف أثر هؤلاء وما هي أهم مظاهر تأثيرهم الفقهية والأدبية؟

أولا: الأثر الديني (الصوفي، الفقهي)

إن نزوح الفقهاء من حاضرة القيروان، كان حافز بالنسبة للبربر على تحصيل ثقافة اسلامية أكثر عمقا من ثقافتهم، معتمدين في ذلك على ما حمله هؤلاء الفقهاء من علوم الشريعة فنشطت بهم الحياة الدينية خاصة في المغربين (الأقصى والأوسط) فقد كان لهم النصيب الأوفر من الفقهاء والمتصوفة.

---

[1] مقلد الغتميي : المرجع السابق، ص173.

[2] الإمام المازري : ص8.

[3] فاس: مدينة عظيمة محدثة قاعدة المغرب أسست في عهد إدريس بن إدريس، ولم تزل منذ تأسيسها دار علم ومعرفة، أنظر، محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الامطار، تح:احسان عباس، (دط)، (دد)، لبنان، 1973، ص434

أ/المغرب الأوسط: اعتبرت اكبر استفادة حظيت بها قلعة بن حماد[1] هي انتقال اكبر عدد من أهل القيروان إليها عقب خرابها ونستشهد على ذلك بقول البكري (ت487ه/1094م)" وانتقل إليها بعد الغزو الهلالي أكثر أهل إفريقية "[2] .

وعليه فإن من دخل القلعة من القيروان كان خليط من التجار وأصحاب رؤوس الأموال كما نزل عدد من الفقهاء المتصوفة الذين كان لهم أثر بارز في إضفاء نهضة فقهية صوفية كبيرة على المنطقة ومن أبرز فقهاء القيروان الذين تركوا أثر واضح هو:

- **أبو الفضل النحوي:** (33ه/513ه/1042-1111م) وليد مدينة توزر[3] زاول دراسته فيها ثم طاف ببلاد المغرب الإسلامي بعد خراب وطنه القيروان، واستقر أخيرا بالقلعة كان فقيه يميل إلي الاجتهاد من العلماء الصالحين مجاب الدعوة[4] ولقد كان بمثابة مدرسة لها اتجاهاتها في النظر إلي الأمور الدينية، وتولى أبو الفضل الدفاع عن أبوحامد الغزالي[5].

---

[1] قلعة بني حماد: بناها حماد بن بلكين وتنسب إليها دولة بن حماد وكانت في وقتها قبل عمارة بجاية دار ملكة وفيها كانت فخائرها وأموالهم وأسلحتهم ... وهي بلاد زرع ونصب وبها الفواكه والمأكولات واليتم وانهلها أبد الدهر شباع، أنظر: أبوالحسن علي بن موسى بعد المغربي: الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982، ص117.

[2] المسالك والممالك، تحقيق: جميل طلبة، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت،2003، ص710، أنظر، النويري: المصدر السابق، ج24، ص ص350-349.

[3] من بغاي إلي قسنطينة ثلاث مراحل لها سور حصين وبها نخل كثير، وسعر الطعام بها غالي، لأنه يجلب إليها،الإدريسي: المصدر السابق، ص 138.

[4] أبوالعباس أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة بجابة، تح: عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت،1979، ص362، انظر احمد ابن القاضي المكناسي :جذوة المقتبس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،(دط)،ج2، دار المنصور لطباعة والنشر، الرباط، 1973، ص552.

[5] هو محمد بن احمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام ولد، بمدينة طوس، احدى مدن خورسان، مارس التدريس في المدرسة النظامية في بغداد وهو صاحب المصنف الشهير "إحياء علوم الدين"، أنظر عبد الرحمان الجوزي : المصنف في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج17، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 124- 125.

ولما أفتى فقهاء المغرب بإحراق كتابه[1] **إحياء علوم الدين** فانتصر له أبو الفضل حينما أفتى بعدم التزام الحلف بعدم وجوده في الدولة[2] كان توجهه امتداد للإمام الغزالي[3] وقد نسخ كتاب الأحياء في ثلاثين جزء[4] ويقول ابن قنفذ أنه كان يقطع نهار رمضان بقراءة أجزاء الإحياء[5] حتى قيل عنه أبو حامد الصغير فقد شبهه التنبكتي بالغزالي في قوله " كان النحوي كالغزالي في العراق علما وعملا "[6]، وقد كان أبو الفضل يقول عن الإحياء"هذه الأسفار من كتاب الإحياء وودت أني لم أنظر في عمري سواه "، ونحج أبو الفضل في تكوين تلاميذ ينشرون اتجاهه في المغرب، فقد ركز أبو الفضل على علوم العقيدة والتصوف أكثر من التركيز على الفروع، والذي كان اتجاه المرابطين الرسمي، فلعب بذلك دور كبير في إدخال آداب الزهد والتصوف السني الذي عرفته القيروان قبل خرابها المغربين (الأقصى والأوسط)وقد كان يلقي دروسه في القلعة[7].

---

[1] يرد في كتاب المعيار نص نازلة حول اختلاف فقهاء المغرب والأندلس حول كتاب الإحياء "لما وصل كتاب الأحياء إلي قرطبة تكلموا فيه السوء وأنكروا عليه الأشياء لاسيما قاضيهم ابن حمدين فإنه بالغ في ذلك حتى كفر مؤلفه، وأغرى، السلطان واشهد الفقهاء، فأجمع هووهم على حرقة فأمر السلطان على بن يوسف بذلك واحرق بقرطبة على الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتا فكان إحراقه سبب في زوال ملكهم، إذ لما وصل الخبر إلي الإمام الغزالي بحرق كتابه دعا عليهم فقال " اللهم مزق ملكهم كما مزقوه وأذهب دولتكم كما احرقوه" فقام ا لمهدي وقال على يدي فقال.اخرج يشيطان سيجعل الله ذلك علي يدك،أنظر: الونشريسي : المصدر السابق، ج12، ص185

[2] الناصري أبوالعباس أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى –المرابطية، والموحدية– تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (دط)،ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص66 .

[3] عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة لنشر والتوزيع، القاهرة،1991، ص261.

[4] الناصري: المصدر السابق، ج2، ص66.

[5] انس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فورد، (دط)، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، (دت)، ص108.

[6] نبل الابتهاج بتطريز الدباج، تح : على عمر، ط1، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، (دب)، ص32.

[7] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص261.

تخرج على يده عدد من التلاميذ [1] وله قصيدة مشهورة (المنفرجة) فقد كان شاعر دين يقول:

اشتَدَّي أزمَةُ تَنفَرِجي *** قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

وَظَلامُ اللَّيلِ لَهُ سُرُجٌ ***حَتّي يَغشَاهُ أبُوالسُرُجِ

وَسَحَابُ الخَيرِ لَهَا مَطَرٌ *** فَإِذَا جَاءَ الإِبّانُ تَجي[2]

❖ **عبد السلام التونسي:**

من الفقهاء المتصوفة الذين حلوا بالمغرب الأوسط خلال(½ ق 5ه/11م) بعد خراب القيروان صحب عمه عبد العزيز التونسي إلى أغمات[3] ثم نزل بتلمسان في الرهبان كان كان عالما زاهدا متصوفا من اولياء الله لا تأخذه لومة لائم في الحق.[4]

أخذ التصوف عن عمه وكان يلبس الصوف ويأكل الشعير من حرث يده والسلاحف البرية[5] ويذكر فيه ابن قنفذ(ت810ه/1407م)، أنه لما كان يصلي الجمعة في مسجد تلمسان، كان الناس يحبسونه عند الخروج ليدعولهم وهذا من شدة ورعه، وقد أقام عبد السلام رابطة له في العباد أسمها رابطة التونسي[6] أسسها في أواخر القرن (5ه/11

---

[1] الناصري: المرجع السابق، ج2، ص77.

[2] أبي الفضل يوسف إن النحوي: المنفرجة، تح: أحمد بن محمد أبورزاق، (دط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 22-23، توفي الفقيه أبو الفضل النحوي في قلعة بني حماد عام 513ه، أبن القنفذ القسنطيني:المصدر السابق،ص108.

[3] ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش وهي مدينة كثيرة الخبر ومن وراءها جهة إلي البحر المحيط لسوق الأقصى بأربع مراحل : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج1، ص225.

[4] ابن الزيات أبويعقوب يوسف بن يحي التادلي :التشوف إلي رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي، تح:أحمد التوفيق، ط2، منشورات الاداب، الرباط،1997، ص110.

[5] ابن مريم، التلمساني : البستان في ذكر الأولياء،والعلماء بتلمسان، (دط)ل، (د د)،جزائر،1908، ص122، يذكر ابن الزيات أن عبد السلام التونسي كان يعمل في أرضه ذات يوم وإذا بأمير تلمسان مزدلي بن تلكان ينزل عنده فقال عبد السلام يا ابن مزدلي ماذا تريد عندي وأنا فقير وأنت أمير، فقال جئت لأتبرك بك واكل من طعامك، فقال وماذا تصنع بطعامي وشعير ولحم سلحفاة ثم قدمه له في قدر،أنظر التشوف، ص111.

[6] أنس الفقير وعز الحقير، ص108، الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6و7ه/12و13م، دار الهدى لطباعة والنشر، عين مليلة، ص64.

م)وكانت تقوم بوظيفتين أساسيتين هما الانقطاع لتعبد، والاجتماع فيها لطلب العلم سواء في التصوف أوفى علوم أخرى، وضمت مجموعة من التلاميذ كان يعلمهم ويدرسهم فيها كتاب الرعاية لحقوق الله[1] كما يدعوهم إلى قراءة كتاب الأحياء لأبي حامد الغزالي، فعكست بذلك التحول الذي بدأ يطرأ على الربط في المغرب الأوسط والذي أضحت وجهته زهديه بحتة، وقد تخرج من رباط[2] التونسي عدد كبير من التلاميذ الذين درسوا على يد عبد السلام التونسي وبدأ وفي نشر أفكاره وتوجهاته الصوفية،وممن تلقي آداب الزهد والتصوف عن الفقيه عبد السلام صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي، وعليه فقد سام الفقيه عبد السلام التونسي في شرح وتبسيط المصنفات الصوفية وأصبحت بفضله أكثر تداولا بين القراء من القلعة إلى تلمسان، وتمكن من تحسيس وسط القراء في تلمسان بأهمية الإحياء فنسخ التلمسانيون الإحياء وحفظوه[3]

ومن خلال ما ذكر يمكن أن نكتشف الدور البارز الذي لعبه هذين الفقيهين في تطور الادب الصوفي بالمغرب الأوسط

ب/المغرب الاقصى:

إن الرافد الذي نهل منه المغرب الاوسط العلم والفقه، سيغذي المغرب الأقصى أيضا، إذ وفد عليه عدد كبير من الفقهاء متخذين كل من، أغمات وفاس ومراكش مكان لاستقرارهم ولنشر وتلقين دراستهم لعلوم الفقه والقراءات ومن الفقهاء الذين دخلوا أغمات الفقيه التونسي "عبد العزيز التونسي" الزاهد المتصوف سكن مالقة ثم استقر به المقام بأغمات[4] درس الفقه وتتلمذ على يده عدد من الفقهاء واخذ عنه المصامدة وصاروا

---

[1] الكتاب الرعاية لحقوق الله هوكتاب لأبي الحارث ابن أسد المحاسب المتوفى سنة 243ه يحتوي على محاسبة النفس والتقشف، أنظر الرعاية لحقوق الله، تح: عبد القادر أحمد عطا، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت.(دت).

2الربط: هي أماكن يتحصل فيها الأشخاص سواءا للعبادة أو الحراسة مثل الرباط التونسي وهي عبارة عن حصون عالية إذا كانت للحروب

[3] الطاهر بونابي: المرجع السابق،ص64، توفي عبد السلام التونسي ودفن بالعباد يتلمسان، أنظر:أبوزكريا يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد،(د.ط)، (د.د)، الجزائر،1903، ص63

[4] ابن شكوال: الصلة، تح:إبراهيم الأبياري، ط1، ج1، دار الكتاب المصري، لبنان، القاهرة، ص549.

وصاروا فقهاء وخطباء[1] ثم انقطع عن الفقه واشتغل بالسياحة ثم عاد الى الفقه بعد تدهور أوضاعه بأغمات[2].فكان له دور كبير في إضفاء النهضة الصوفية بالمغرب الأقصى.

وممن درس التصوف بأغمات أيضا نجد الفقيه" أبوعبد الله محمد بن سعدون القروي "حمل توا ليف التصوف إلى أغمات كما يقول أبن السراج واستقربها ودرس التصوف، وكان من أهل التصوف والعلم ولا يزال يذكر صاحب الكتاب أن الناس يستشفون بقبره . [3]

وبالإضافة إلي التصوف فقد كان لهؤلاء الفقهاء دور كبير في نشر مذهب "الإمام مالك "عن طريق تدريسهم الفقه وأصول الدين مثل الفقه أبوالحسن بن عبد الأعلى الكلاني الصفاقسي[4] والفقيه أبوالطاهر اسماعيل بن ابراهيم التونسي[5] ومن الفقهاء أيضا عبد الجليل الدباجي المعروف بسم الصابوني،كان عالما مدرسا للأصول وقواعده، غادر إفريقية بعد خراب القيروان واستقرا أخيرا بالقلعة[6] وعلى يد هؤلاء الفقهاء زحف مذهب الإمام مالك بدء من مدرسة القيروان وانتشر بعضلهم في القسم الغربي للعالم الإسلامي كله وعبوره إلى غرب إفريقية حيث لا يزال المذهب الغالب في هذه البلاد. [7]

ج/صقلية :

على الرغم من أن أكثر الفقهاء القرويين كان توجههم نحو العدوة الجنوبية (المغرب الأقصى والأوسط) إلى أن صقلية هي الأخرى كان لها حظ بولوج عدد من

---

[1] ابن الزيات: المصدر السابق، ص10

[2] ابن القنفذ، القسنطيني:المصدر السابق،ص106،يقال أن عبد العزيز التونسي قطع الفقه لما رأى عدد من تلاميذه قد نالوا بالفقه الخطط فقال " صرنا بتعليمنا لهم كبائع السلاح من اللصوص"، نفسه: ص107.

[3] أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ابن السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط1،(دد)، تونس،1287ه، ص96.

[4] ابن الآبار : المصدر السابق، ج2، ص218، استوطن سبة وكان عالما ووليا فقيها متكلما عارفا بالحساب والهندسة، أنظر نفسه، ص218.

[5] ابن الزيات:ا لمصدر السابق، ص406،أ شخص إلى حضرة تلمسان قرابها العلم واعرض عن الدنيا وأهلها، نفسه، ص406.

[6] الهادي روجار إدريس: المرجع السابق، ج2، ص343.

[7] عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص249.

الفقهاء . على اعتبار أن فتح صقلية تم على يد علماء القيروان، فامتزجت ثقافة صقلية بثقافة القيروان ومن جملة الفقهاء الذين دخلوا صقلية من القيروان المؤرخ والفقيه أبوبكر عبد الله بن محمد المالكي صاحب كتاب رياض النفوس وروي بصقلية كتاب اللمع في أصول الفقه[1]. ومن مظاهر تأثير القيروان في ثقافة صقلية الإسلامية تتلمذ عدد من فقهاء صقلية على أيدي أعلام من القيروان مثل احمد علي بن عثمان الربعي الصقلي،كما أخذ عنه الإمام المازري حيث أسند بعض فتاويه إلى المالكي مقرونة بعبارات الفضل والثناء ومن ذلك ما نصه عن الشيخ أبي بكر المالكي وقد شاهدنا من فضله ودينه وجلاله وعلمه بالأخبار ما يحصل الثقة في أنفسنا بما يحكيه فكان لذلك أثر في انتشار المذهب المالكي في صقلية بعد دخول أتباعه ودراسة عدد من علمائه على يد شيوخ من القيروان وأصبحوا أعلام يشار إليهم بالبنان فأسسوا لصقلية مدرستها المستقلة في الدراسات الفقهية [2]

وما يمكن أن نخلص إليه هوأن نزوح هؤلاء الفقهاء من القيروان قد ساهم إلى حد كبير في إثراء الحواضر الإسلامية المغربية ونشر الأفكار الصوفية خاصة الأدب الصوفي السني الذي لم يعرفه المغرب إلا بعد (½ ق 5ه/ق11م).

كما يمكن أن نلاحظ أيضا انتشار مذهب الإمام مالك إلى المغرب الإسلامي فحصلت بذلك وحدة لا نظير لها في العالم الإسلامي.

[1]علي بن محمد سعيد الزهراني : الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212-484هـ /826/1091م)، معهد البحوث العليمة وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1996، ص 515.

[2] علي بن محمد سعيد الزهراني: المرجع السابق، ص 515.

ثانيا: الآثار الأدبية :

وكما أسلفنا الذكر فإن سقوط القيروان كان حدثا بعيد الأثر، مست أصداءه العدوتين الشمالية والجنوبية للمتوسط، وذلك من خلال وصول عدد من الادباء والعلماء الى هذه المناطق على حد قول المراكشي(ت647ه/1249م):"ولما استولى عليها الخراب تفرق أهلها في كل وجه فمنهم من قصد صقلية والأندلس[1] ولقد أحصت لنا المصادر وكتب الطبقات عدد من الأدباء والشعراء الذين قصدوا صقلية والأندلس، وخصصنا بالذكر هذه المناطق على اعتبار أن جل الأدباء كانوا يفضلون العيش في بلاطات مثل بلاط صنهاجة، لتعودهم على حياة البذخ والترف ولتحصيل مزيد من الشهرة، أو ربما لأن حكام المغرب خلال هذه المرحلة كانوا بدو مثل المرابطين فلم يهتموا بهذا الجانب ومن أبرز الأدباء الذين تركوا أثارهم وذاع صيتهم فمثلوا بذلك أدب القيروان في العداوة الشمالية ثلاثة شعراء بارزين (ابن شرف،ابن الرشيق والحصري).

أ- أهم شعراء القيروان وشيوع أدب الثراء :

- **ابن شرف أبوعبد الله ابي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني:(388ه_460ه/998م_1067م)**

أحد زعماء المدرسة الشعرية بالقيروان قال عنه الدباغ " كان ابن شرف أحد من نظم قلائد الأدب وجمع اشتات الصواب وتلاعب بالمنظوم والموزون[2].

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ص441،

[2] معالم الإيمان:ج3،ص193،ولد ابن شرف بالقيروان عام 838ه واخذ العلم عن أبي عمران الفاسي والأدب عن الحصري وتمكن من أن يفرض نفسه كشاعر ناثر . أنظر: ابن بشكوال، المصدر السابق،ج2،ص212، ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح، إحسان عباس، ج1،دار الثقافة،بيروت،1997،ص174.

ولما سال سيل الفتنة بالقيروان، تردد على ملوك الطوائف بالأندلس إلي أن استقربه المقام بطليطلة وتوفى بها عام (460ه/1067م.) [1]

ولقد ترك ابن شرف مجموعة من مؤلفاته[2] التي تدل على براعة شعره وسعة نظرة وحسن نظمه، برع ابن شرف وكان من أكابر الشعراء في شعر رثاء المدن وذلك بعد أن ندب وبكي مدينة القيروان بعد خرابها .برزت في شعره خاصية اللوعة والشوق إلي الأوطان ومن ما قاله حول ذلك.

يا قَيروَانَ وَدِدتُ أَنّي طائِرٌ ***** فَأَراكِ رُؤيَةَ باحِثٍ مُتَأَمِّلِ

يا لَوشَهِدتَ إِذا رَأَيتُكِ في الكَسُرى ***** كَيفَ اِرتِجاعُ صِبايَ بَعدَ تَكَهُّلِ

لَوكُنتُ أَعلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهدَهُم***** يَومَ الرَحيلِ فَعَلتُ ما لَم أَفعَلِ [3]

ويقوله أيضا من وجع وهو يحترق حزنا على بلده.

آهِ لِلْقَيروانِ! أَنَّةَ شَجْرٍ ***** عن فؤادٍ بجاحِمِ الحُزْنِ يَصْلَى

حين عادتْ به الديارُ قُبُوراً ***** بل أقول الدّيارُ منهنّ أَخْلَى[4]

---

[1] ابن بشكوال:المصدر السابق،ص214

[2] أبكار الأفكار، يقول عنه ابن دحية، في سفرين اختراع كله في الحكم والأمثال والنظم، أنظر بغية الرواد، ص 66، وكتاب أعلام الكلام، وهوكتاب وجهه إلى المعتضد مالك إشبيليا ويعتبر بذلك أول من أرسل القصائد له ورد عليه عن طريق وزيره ابن عبد البر، أنظر ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص 174،كما له أيضا ديوان ذكره ياقوت الحموي ولم يحدد حجمه، أنظر: معجم البلدان، ج6، ص 2636.

[3] الدباغ : المصدر السابق، ج3،ص194.

[4] موسي مريان : بنوهلال سيرتهم وتاريخهم: أعمال الملتقى الولي، الجزائر من 20 إلى 23 ماي 1919، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ،الجزائر، 1993، ص172.

❖ ابن الرشيق:(390ه_456ه/1000_1064م)

أبوالحسن ابن الرشيق :(456ه/1064م)كان ابن الرشيق نجما ناصعا في سماء الأدب أحد نبغاء الثقافة العربية بإفريقية على العهد الصنهاجي ولد بالمسيلة ثم ارتحل إلى القيروان عام (406ه/1015م)[1] اخذ العلم على جملة من العلماء منهم القزاز ثم توثقت صلته بالبلاط الصنهاجي ولازم المعز بعد خراب القيروان، ارتحل مع المعز إلي المهدية[2]

ونظم خلالها قصيدة يواسي فيها المعز قائلا

تثبت لا يغامرك اضطراب * * * فقد خضعت لعزتك الرقاب.

وقد أثارت هذه القصيدة غضب المعز وأمر بإحراقها، الأمر الذي حاز في نفس ابن الرشيق وخرج من عنده كما يقول ابن بسام (ت 542ه/1147م)نذ ذلك الحين لا يعرف الطريق ولا يدري أين ينكفي[3]

ثم شد ابن الرشيق الرحال إلي صقلية بعد ما رفض الذهاب إلي الاندلس رفقة ابن شرف

[1] ابن السراج : المصدر السابق، ص96، كان ابن الرشيق ربوة لا يبلغها الماء وغاية الشدوالارخاء محله من النسيم محل الصواب من الحكم واقتداره على النظم والنثر، فإن نظم طاف الأدب واستلم ونثر وهلل العلم وكبر،أنظر:ابن بسام :المصدر السابق، نج1،ص597 .

[2] أبوالحسن، ابن الرشيق : انموذج الزمان في شقراء القيروان، تح: محمد لعروسي المطري، بشير البكوش، الدار التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1986، ص ص 5.6.

[3] ابن بسام:المصدر السابق،ج1،ص598.

وقال:

مِمَا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسْ **** أَسْمَاءُ مُقْتَدِرْ فِيهَا ومُعْتَضِدْ

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيرِ مَوضِعِهَا **** كَالِهِر يَحْكِي إِنْتِفَاخَ صَوْلَةَ الأَسَدِ[1]

فأجاب ابن شرف قائلا:

إِنْ تَرْمِكَ الغُرْبَةُ فِي مَعْشَرَ **** قَدْ جَبُلَ الطَبْعُ عَلَى بَعْضهم

فَدَارُهُمْ مَادُمْتَ فِي دَارِهِمْ **** وَأَرْضُهُم مَادُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ[2]

وقد اكتسب ابن الرشيق مجده باعتباره ناقد الأدب وراوي الأشعار والأخبار، له مجموعة من المؤلفات [3]الشعرية المختلفة جعلته سيد الشعراء في عصره حتى قال عنه ابن بسام(ت542ه/1147م)

" وأما الشعر فقد انسي أهله "[4] وقد برز ابن الرشيق في قائمة شعراء الرثاء بعد أن رثا وطنه القيروان في قصيدة نونية يقول فيها:

أَتَرى اللَيالي بَعْدَ ما صَنَعَتْ بِنا **** تَقْضي لَنا بِتَواصُلٍ وَتَدانِ

وَتُعيدُ أَرْضَ الْقَيْرَوانِ كَعَهْدِها **** فيما مَضى مِنْ سالِفِ كـلأَزْمانِ

مِنْ بَعْدِ ما سَلَبَتْ نَضائِرَ حُسْنِها **** الأَيَّامُ وَاخْتَلَفَتْ بها فتَانِ

وَغَدَتْ كأَنْ لَمْ تَغْنَ قَطُّ وَلَم تَكُنْ **** حَرَماً عَزيزَ النَّصْرِ غَيْرَ مُهانِ

---

[1] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص 2627.

[2] ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج6، ص 2627.

[3] كتاب العمدة، في معرفة صناعة الشعر ونقده، وقد وضع هذا الكتاب في خانة النقد الأدبي وتضمن ملاحظات عجيبة بدقتها وعمقها حول قيمة المتقدمين والمتأخرين والفرق بين الشاعر المطبوع والمصنوع، أنظر: الهادي روجار إدريس: المرجع السابق، ج2، ص391، وله ايضا كتاب فرائض الذهب في نحت أشعار العرب وأنموذج الزمان في شعراء القيروان، وهي مدونة مهمة يحصي فيها ابن الرشيق شعراء إفريقية، أنظر: محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ج1، ص110.

[4] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص 599.

أَمْسَتْ وَقَدْ لَعِبَ الزّمانُ بأَهلِها **** وَتَقَطّعَتْ بهمُ عُرا كـلأَقْرانِ

فَتَفَرّقُوا أَيْدي سَبا وَتَشَتّتُوا **** بَعْدَ اجتِماعِهِمُ على الأَوطانِ[1]

كما وصف وقع سقوط القيروان على العالم الإسلامي باعتبارها مركز حضاري إسلامي

حزِنَت لها كُورَ العِراقِ بأَسْرِها***وَقُرى الشآمِ وَمِصرُ والخُرسانِ

وَتَزَعْزَعَت لمصابها وَتَنَكّدَتْ***أَسَفاً بلادَ الهندِ والسّندان

وَعَفا مِنَ كـلأَقْطارِ بَعْدَ خَلائِها***ما بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إلى حُلْوانِ[2]

وقد بكي القيروان وجاء في ذلك بأسلوب وعاطفة شعرية صادقة حزينة لأنه كان من أهلها.

❖ أبوالحسن علي ابن عبد الغني المقري المعروف بالحصري (415ه_488ه/1024م/1095م)

هوابوالحسن ابن علي المعروف بالحصري أوالشاعر الضرير، ولد بالقيروان (415ه/1024م) اشتهر بالأدب في عصر التمدن المغربي الإفريقي[3] قال عنه ابن بسام (ت542ه/1147م)كان بحر براعة ورأس صناعة وزعيم جماعة[4]

[1] رابح بونار: المرجع السابق، ص363.

[2] رابح بونار: المرجع السابق، ص 362.

[3] الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص 202. قرأ على يد علماء بلده مثل أبي بكر عفيف وبرع في العربية خصوصا في القراءات، ختم القراءات وهوابن العشر سنوات، نفسه، ج 3، ص 202.

[4] الذخيرة، ج1، ص 235.

رحل إلي الأندلس بعد خراب وطنه القيروان ولقى ملوكها[1] وقرأ بها القران، ثم رحل إلى طنجة وبها مات عام(ت488ه/1095م)[2]، كان الحصري ذا شعر موفور وأدب منثور، وله عدة فصول في الشعر وأصناف كثيرة في النسب[3]، وقد حذا حذو المعري في سلوك المسالك وله أيضا في المديح فمدح ملوك الأندلس [4] مثل مدحه للمتعضد عند وفاة

أبيه قائلا:

مَاَتَ عُبَادَ ولَكِنْ **** بَقِيَ النَجْلُ الكَرِيمُ

وكَأَنْ المَيتَ حَيًا **** غَيرَ أَنْ الضَادْ مِيمَ[5]

وكان الحصري أكثر الشعراء براعة في شعر الرثاء واللوعة عند ما ندب مدينة القيروان، إذ برع في تصوير ما حل ببلده والشوق إليها، ربما لأنه كان كفيفا وذلك أعطاه حسا كبير بألم الفراق والحنين إلي الوطن.

موتُ الكرامِ حيَاةٌ فِي مواطنِهمْ****فإِنْ هُم اِغتربوا ماتوا وما ماتُوا

يا أهلَ ودِّيَ لا واللهِ ما اِنتكثتْ****عندِي عُهودٌ ولا ضاقَتْ مودَّاتُ

لئِنْ بعُدْتُمْ وحالَ البَحْرُ دونَكُمُ **** لبَيْنَ أرواحِنا في النَّومِ زَوْرَاتُ

مَا نِمْتُ إلّا لكي أَلْقَى خيالكُمُ **** وأينَ من نازح الأوطانِ نوماتُ

---

[1] ابن بشكوال :المصدر السابق، ص627، فتهادته ملوك طوائفها تهادي الرياض النسيم وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المعتمد،أنظر: ابن بسام ا:لمصدر السابق، ج1،ص ص 235-238.

[2] محمد بن مخلوف : المصدر السابق، ج1، ص 118، أنظر ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج4، ص 1808.

[3] ابن بشكوال : المصدر السابق، ج1، ص 627.

[4] ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص ص 237-258.

[5] ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج4، ص1808، أنظر السيوطي: الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،(د.ط)، شبكة مشكاة الإسلامية،(د.د)،(دت)،ص654.

وهنا يصف الحصري شوقه وجنينه ولوعه فراقه لأهله ووطنه بالقيروان ويقول أيضا:

أَصبحتُ فِي غُرْبتِي لولا مُكاتمتِي **** بَكَتْنِيَ الأرضُ فيها والسماواتُ

كأَنَّني لم أَذُق بالقيرَوانِ جَنىً **** ولم أقلْ ها لأحبابي ولا هَاتُوا [1]

لقد استطاع هؤلاء الشعراء نظم قصائد ممتازة يعبرون فيها عن ما أصاب بلدهم ويصفون فيها الشوق والحنين إلي الأحباب بالوطن وهناك أيضا أدباء دخلوا العدوة الشمالية سوف نحصيهم في ملاحق، ولقد أثر هؤلاء الشعراء في المواطن التي حلوبها، وإن التزمت المصادر الصمت والتجاهل إزاء مساهمة هؤلاء الأدباء في ُ الحياة الأدبية فيها، إلا انه لا يمكن أن نتغاضي علي أن هؤلاء الأدباء هم الذين أدخلوا ومثلوا ادب الهجرة واللوعة الى الأوطان والذي ُتغذي منه شعر الأندلس فيما بعد كما، أنهم كانوا أكثر براعة في هذا النوع من الشعر وأن ظهر في المشرق إلا أنه لم يبلغ مبلغ المغرب فيه.

ب- مظاهر تأثير الأدب القيرواني على صقلية(إبن الرشيق أنموذج):

لم يكن تأثير القيروان على صقلية في مجال الأدب واضحا قبل قدوم أبو الحسن ابن الرشيق، وهذا ما أدى إلى تأخر ظهور المدرسة اللغوية في صقلية، يمكن أن نستشف تأثير ابن الرشيق (ت456ه/1064م)، في كتاب تثقيف اللسان والذي اعتمد فيه صاحبه على شواهد، من أبيات ابن الرشيق التي تؤيد كلامه فقد استعملها لدلالة على

[1] سعد فلاقة : المرجع السابق، ص161.

اسم صقلية في قوله "فأما صقلية بالسين مكسورة قطيعة وعربت هذه فقيلت بالصاد وتفسيرها يعني التين والزيتون "[1]

أَحْبُ المَدِينَة َفِي إِسْمٍ لَا يُشَارِكُهَا *** فِيهِ سِوَاهَا مِنْ البُلْدَانِ وَالنِمَس

وَعَظْمَ الله مَعْنَى لَفْظِهَا قَسَما *** قَلْدَ إِذَا شِئْتَ أَهْلَ العِلْمَ أَوفَقَسَ [2]

برز تأثير إبن الرشيق أيضا في تتلمذ عدد كبير من الادباء على يده وأستفادومنه مثل عبد الكريم بن عبدالله المقري الصقلي والذي قال فيه " وقد رأيت أبى بكر ابن البر وأبى علي ابن الرشيق واستفدت منهما "[3]

كما أسترشد ابن المكي(ت501ه/1107م) بآراء ابن الرشيق في نقد شعر فحول العرب كنقده لشعر جميل ابن معمر في تصويب ذكر اسم بثينة إذ يضمون الباء من بثينة فيقول حينما وقفت في شعر جميل قوله

إن بُثْينَة إِنَكِ قَدْ مَلَكَتِ فَأَسْجُحِي *** وَخُذِي بِحَضِكِ مِنْ كَرِيمِ وَاصِلِ

فقال وقال لي أبو الحسن: إذا وقع في شعر جميل حسمي فهو بالميم وكسر الحاء وإذا أوقع في شعر كثير فهو حسنى بالنون وضم الحاء.[4]

أما فيما يخص تأثير الأدب القيرواني فقد كان لقدوم أبن الرشيق وابن شرف إلى صقلية دور كبير في الأدب مثل اللغة، فلما دخل أبن الرشيق إلى صقلية دخلت كتبه خاصة كتاب "العمدة "والذي أصبح يدرس في مدينة مازر[5]، وقد ذكر هذا الكتاب على

[1] إبن المكي: تثقيف اللسان، ص222

[2] أبي حفص عمران أبن خلف "إبن مكي ": تثقيف واللسان وتلقيح الجنان، تح : مصطفى عبد القادر عطا، ط1، مصدر سابق دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.ص62. أنظر : السيوطي:المصدر السابق، ص 137.

[3] – علي بن محمد سعيد الزهراني : المرجع السابق، ص 522.

[4] المكي: المصدر السابق، ص ص 227–228.

[5] عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، تر: لمين وفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980، ص 54.

ابن متكود ويقول القفطي(ت664ه/1266م) "ومن جملة مارأيته من قرأته عليه كتاب العمدة وهوأجل كتبه وأكبرها ورأيت خط إبن الرشيق على نسخة منها ويضيف أنه إشتمل من هذا النوع على ما لم يشتمل عليه تصنيف من نوعه، وأحسن فيه غاية الإحسان وذكر بحضرة القاضي الأجل الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني فقال فيه " هوتاج الكتب المصنفة في هذا النوع "[1]

ولم يفت إبن خلدون(ت808ه/1405م) في الإشارة إلى الكتاب وما أحدثه من أثر في المصنفات الأندلسية "وممن ألف في البديع من أهل إفريقية ابن الرشيق وكتاب العمد المشهور وجرى من أهل إفريقية والأندلس على منحاه .[2]

وقد تأثر بكتاب أبوالحسن عدد كبير من أدباء صقلية، فهذا عثمان بن علي بن عمر السرقوسي الصقلي النحوي، إذ يذكره القفطي(ت664ه/1266م) في قوله "شاهدت مصنفاته في غاية الجودة منها مختصر عمدة ابن الرشيق وشاهدته بحلب، بخطه عند أبي القيسراني وقد زاد فيه أبوابا أخلها ابن الرشيق وهي واقعة موقعها من التصنيف. [3]

وقد كانت لمكاتبات ابن الرشيق مع أدباء الصقلية أثرها الواضح في الأدبي الصقلي ومن ذلك مراسلته مع الأديب الصقلي علي بن أبي إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن الوداني، وابن الصباغ فقد كتب إليه أبوالحسن بعد وصوله إلى مازر بشعر ورد عليه كذلك بالشعر،[4] وعلى غرار ابن الرشيق كان لدخول نظيره ابن شرف (ت 460ه/1067م)صقلية أثره على الدراسات الأدبية بها فهولا يقل روعة عن صاحبها وقد أمتدحهما ابن خلدون(ت808ه/1405م) في حديثه عن اللسان العربي وملكة اللسان عند

[1] جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أنباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، الكتب الثقافية – بيروت 1986. ص ص 338-339.

[2] المقدمة : ص 662.

[3] أنباه الرواة، ج2، ص ص 342-343.

[4] علي الزهراني : المرجع السابق، ص 525.

الأمصار" وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك لهذا العهد ما كان بإفريقية مشاهير الشعراء إلا ابن شرف وابن الرشيق ،[1] وقد كانت لمؤلفات ابن شرف أثر على صقلية وان لم نعثر في المصادر على ذلك الأثر، كما نلمس أيضا غياب كتب ومصنفات ابن الرشيق بعد دخوله إلى صقلية فقدت وليس لها وجود.[2]

وعليه فيمكن القول أن ابن شرف وابن رشيق قد أسس المدرسة النقدية الأدبية وبذلك تفوق التأثير القيرواني على التأثير المشرقي، وأضحى كتاب العمدة يمثل النظرية النقدية في صقلية يطمح إليها كل شاعر للوصول إلى الجودة فخرج بذلك شعراء صقلية من طابع الهجاء بالإضافة إلى وصول هؤلاء الشعراء إلى التمييز بين الذوق البدوي والحضري.[3]

[1] المقدمة : ص ص 778-779.

[2] عزيز أحمد: المرجع السابق، ص 54.

[3] على الزهراني: مرجع سابق، ص ص، 526 – 527.

الخاتمة

تبين لنا من خلال خطوات البحث وحيثياته أن

- دخول العرب الهلالية القيروان (449 ه /1057 م) قد صحبته أعمال تخريب مست جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتركيبة السكانية وكذا التوزيع الجغرافي لهذه العناصر
- انحصار تلك القبائل في العمل العسكري والاسترزاق وابتعادهم عن المدنية، فلما قدموا القيروان لم يقيموا التطور والازدهار الحضاري الذي كانت تزخر به نظرا لطابعهم البدوي وأسلوب حياتهم القائم على الترحال وعدم إستقرار ورفضهم إلتزام بأوامر السلطة المركزية
- الأمر كله طرح إشكال لدى جمهور الفقهاء من المالكية في كيفية التعامل معهم، فأصدروا مجموعة من الفتاوى تراوحت بين فتوى متطرفة وأخرى معتدلة، ولعل هؤلاء المعتدلين أدركوا مدى خطورة هذه العناصر الهائجة وصعوبة ترويضها .
- حضور هؤلاء البدو في تاريخ المغرب أعتبر ظاهرة عاقب بها المشرق الإسلامي مغربه، فقد أجهض هؤلاء البدو تاريخ دولة صنهاجة الحضارية المالكية بالقيروان، بعد أن ضلت طيلة أرع قرون من الزمن تتزعم الحركة الفكرية والمذهبية بالغرب الإسلامي، فقد برز فيها عدد من الفقهاء ساهموا في ترسيخ المذهب المالكي فحملوا راية العلوم الشرعية في المغرب، كما رفلت القيروان بأكبر الشعراء والأدباء مثلوا العصر الذهبي للحياة الأدبية من منتصف القرن الثاني للهجرة إلى منتصف القرن الخامس.
- منذ النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة لم يلمع أسم القيروان في سماء الأدب والفقه ذلك أن هذا البناء الشامخ بدأ يعتريه الخلل من جراء استفحال تلك العناصر، فقد جاءت الزحفة الهلالية بقاسمة الظهر وأفضت إلى انقراض الحضارة القيروانية وأفول نجمها، فإندرس عمرانها وتدهورت أوضاعها.

- تدهور الأوضاع السياسية والأمنية بالقيروان انعكس على الجانب الثقافي، وإن كانت الانعكاسات السياسية والعسكرية مباشرة وسريعة فإن الانعكاسات الحضرية كانت ذات حركة بطيئة، تمخض عنها مغادرة أهل العلم من فقهاء وشعراء وأدباء القيروان إلى مناطق أخرى أكثر أمننا، محاولين في ذلك الحفاظ على بعض الامتيازات التي أغدقتهم الدولة الصنهاجية .

– هذا السقوط كان بعيد الأثر على العدوتين الشمالية والجنوبية لبحر الروم، إذ لاحظنا تأثر معظم حواضر العدوتين بالدراسات القيروانية سواء كانت فقهية أم أدبية .

وقد لمسنا بعض الأثار :

- دخول الأدب الصوفي السني إلى قلعة بني حماد ومن ثم تلمسان على يد الفقيهين « أبو الفضل النحوي:334ه/513ه/1042-1111م » والفقيه «عبد السلام التونسي» الذي أقام رباط وزاوية مثلت البداية الحقيقة لظاهرة الزهد وتمكنوا من نشر أفكارهم الصوفية والدعوة إلى دراسة بعض المصنفات كمصنف إحياء علوم الدين للغزالي، فنشطت بهم الحركة الصوفية بتلمسان والقلعة.
- انتشار مذهب الإمام مالك الذي كانت قاعدته القيروان، فغدا منتشرا في كامل المغرب الإسلامي، وحدثت بذلك وحدة فقهية لا نظير لها ببلاد المغرب
- إلى جانب ذلك أتضح لنا أن مسار حركة الفقهاء والأدباء قد تشعب فالفقهاء كانت وجهتهم جنوبية، أما الأدباء والشعراء ففضلوا العدوة الشمالية في كل من صقلية والأندلس، ربما لآن بلاطات المرابطين على ذلك العهد لم تكن في مستوى تطلعاتهم، كما أن المرابطين لم يكونوا مهتمين بالشعر نظرا لطباعهم البدوي.
- وقد اثر هؤلاء الشعراء في المدرسة الأدبية الصقلية والأندلسية ومنهم إبن الرشيق (390ه_456ه/1000_1064م) وابن شرف (388ه_460ه/998م_1067م) فكانا لهما دور في إضفاء النهضة الأدبية بها بعد أن أدخلوا مصنفاتهم الأدبية وساهموا في

بروز أدب الهجرة واللوعة إلى الأوطان والذي لم يكن معروفا في تلك الحضارة آنذاك، إلا أن المصادر الصقلية التزمت الصمت حيال تلك الآثار، كما أن هؤلاء الشعراء لم يرصدوا الأثر الأمر الذي أدى إلى تغييب دروهم الحضاري.

قائمة المصادر والمراجع

أ/المصادر:

- ابن الآبار ، عبد الله محمد بن عبد الله البلنسي .

1. التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، دون طبعة ، الجزء الثاني ، دار الفكر بيروت 1995.

- إبن الاثير ، أبي الفداء عبد الله القاضي .

2. الكامل في التاريخ ،(دون.طبعة) ،الجزء التاسع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (دون تاريخ).

- البرزلي , أبي القاسم احمد البلوي التونسي

3. جامع الأحكام بما نزل من القضايا للمفتين و الحكام ،الطبعة الأولي ،الجزء الخامس ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

- ابن بشكوال, أبي القاسم خلف بن عند الملك :

4. الصلة، تحقيق:إبراهيم الأبياري،الطبعة الأولي ،الجزء الأول ،دار الكتاب المصري ،لبنان،القاهرة،

البكري ، أبي عبيد الله :

5. المسالك والممالك ، تحقيق فان لويغن وأندري فيزي ، دون طبعة ، الجزء الثاني ، الدار العربية للكتاب ، تونس 1992.

- البيذق،ابوبكر علي الصنهاجي:

6. أخبار المهدي بن تومرت ،تحقيق:عبد الحميد حاجيات،الطبعة الثانية ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1986.

- التمبكتي أحمد بابا (ت963ه/1036م).

7. نبل الابتهاج بتطريز الدباج: تحقيق : على عمر ،الطبعة الأولى، الجزء الثاني،مكتبة الثقافة الدينية ،دون بلد النشر .

- التجاني ، أبو محمد عبد الله :

8. رحلة التجاني ، تقديم : حسن حسن عبد الوهاب ، دون طبعة، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 2005.

- الجوزي عبد الرحمان:

9. المصنف في تاريخ الأمم والملوك, تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا , الطبعة الأولى , الجزء السابع عشر, دار الغرب الإسلامي , بيروت , 1992.

- الحميري محمد بن عبد المنعم

10. الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق : حسان عباس، دون طبعة ، دون دار النشر،لبنان ،1973.

- ابن حزم ,أبي محمد بن سعد الأندلسي

11. جمهرة انساب العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة ,دون تاريخ.

- ابن الخطيب أحمد لسان الدين:

12. تاريخ المغرب العربي، تحقيق :احمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني،الجزء الثالث ،دار الكتاب ،الدار البيضاء.

- ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمان (ت808ه) :

13. العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم : خليل شحاتة، الطبعة الأولى ، الجزء السادس ، دار الفكر، بيروت، 2000.

14. المقدمة ، مراجعة: خليل شحاتة الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت، 2001.

- ابن خلدون يحيا ، أبو زكرياء ابن ابي بكر :

15. بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، دون طبعة ، بيربونطانة، الجزائر، 1903.

- الدباغ,أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري ألأسدي الدباغ(ت696هـ/1297م)
16. معالم الإيمان لتعريف بمشايخ القيروان،أتمه و علق عليه ، أبو الفضل ابن ناجي التنوخي (839ه) : إبراهيم سبوح ، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1968.
- ابن دحية : ذي النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ)
17. المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق : إبراهيم الأبياري حامد عبد المجيد و آخرون،دون طبعة ، دار العلم للجميع ، بيروت ، دون تاريخ .
- الإدريسي أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد السبتي (ت560ه) :
18. نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، الطبعة الثانية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، دون بلد ، دون تاريخ.

- الرصاع ،أبي عبد الله محمد الأنصاري :
19. فهرست ،تحقيق،محمد العنابي، دون طبعة ,المكتبة العتيقة ، تونس ، دون تاريخ.
- ابن الرشيق أبي الحسن
20. أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، تحقيق : محمد لعروسي المطوي وبشير البكوش ، دون طبعة ، الدار التونسية–تونس، المؤسسة الوطنية الجزائرية–الجزائر، 1986.

ابن الزيات,أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي

21. :التشوف إلي رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي: تحقيق:أحمد التوفيق،الطبعة الثانية،منشورات الأدب ،الرباط،1997.
- ابن السراج, أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي
22. : الحلل السندسية في الأخبار التونسية،الطبعة الأولى ,دون دار نشر, تونس،1287ه.

- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت911ه)
23. بغية الوعاة في طبقات اللغو يين و النحاة ، شبكة مشكاة الإسلامية,دون طبعة,دون دار نشر,دون تاريخ.

- ابن الشماع ,محمد بن احمد أبو عبد الله

24. :الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ،تحقيق:الطاهر بن محمد العموري ,دون دار طبعة ،الدار العربية للكتاب،تونس،1984،

- الشنتريني ابن بسام:

25. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عباس ، دون طبعة ، الجزء الأول ، دار الثقافة ، بيروت، 1997.

- الصنهاجي، أبو عبد الله محمد (ت628ه)

26. أخبار الملوك من بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق : جلول أحمد البدوي ، الؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.

- إبن أبي الضياف :

27. اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان ، تحقيق: لجنة من كتابة الدولة لشؤون الثقافية و الأخبار ، الطبعة الثانية ، الدار التونسية ، 1976.

- ابن عذارى ,أبو العباس احمد بن محمد المراكشي :

28. البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني و آخرون ،الطبعة الاولي ، الجزء الأول ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985.

- الغبريني أبو العباس أحمد :

29. عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة بجابة، تحقيق: عادل نويهض ،الطبعة الثانية ، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979.

- القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف :

30. أنباه الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولي،الجزء الأول، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الكتب الثقافية – بيروت, 1986.

- ابن القنفذ , أبي العباس احمد الخطيب القسنطيني:

31. انس الفقير و عز الحقير:تحقيق: محمد الفاسي و أدولف فورد ،دون طبعة,المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط ، دون تاريخ .

- المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 453هـ/ 1061م) :

32. رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم ، تحقيق : بشير البكوش، الطبعة الأولى ، الجزءان الأول والثاني ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983

- المحاسب, ابي الحارث ابن اسد(ت243ه).

33. الرعاية لحقوق الله ،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ،الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ .

- بن مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن القاسم :

34. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دون طبعة ، المطبعة السلفية، القاهرة،1349ه.

- المراكشي عبد الواحد بن محمد بن علي التميمي(ت647ه):

35. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان ،دون طبعة ، دون دار نشر ، دون تاريخ .

- ابن مريم ,أبي عبد الله محمد بن محمد,التلمساني :

36. البستان في ذكر الأولياء،و العلماء يتلمسان ،دون طبعة ,دون دار نشر,جزائر،1908.

- المغربي, أبو الحسن علي بن موسى:

37. الجغرافية، تحقيق:إسماعيل العربي، دون طبعة, ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1982.

- المكناسي,احمد ابن القاضي :

38. جذوة المقتبس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس,دون طبعة, الجزء الثاني,دار المنصور لطباعة والنشر ,الرباط ,1973.

- ابن المكي,أبي حفص عمران أبن خلف :

39. تثقيف واللسان وتلقيح الجنان ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولي، الدار الكتب العلمية ، بيروت ،1990.

- المؤنس ابن ابي دينار,أبي عبد الله الشيخ محمد بلقا سم الزعيم القيروان :

40. المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس ، الطبعة الأولي ، الدولة التونسية ، 1986.

- إبن النحوي أبي الفضل يوسف:

41. المنفرجة، تحقيق : أحمد بن محمد أبو رزاق، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- النويري ،أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ)

42. نهاية الأرب في فنون الأدب ،تحقيق: عبد المجيد الترحيني، الطبعة الأولى ،الجزء الرابع والعشرون ،دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004.

- ابن الودان

43. تاريخ مملكة الاغالبة، تحقيق: محمد زينهم محمد فربة ،الطبعة الاولى، مكتبة مدبولي ، 1988.

- الوزان حسن بن محمد (ليون الإفريقي ت957ه)

44. وصف إفريقيا ، تحقيق : محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، الطبعة الثانية ، الجزءان الأول والثاني، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983.

- الونشريسي, أبي العباس احمد بن يحي(914ه):

45. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس والمغرب ، ،الجزءان السادس,والثاني عشر ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ,دون تاريخ.

- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت628هـ/.....)

46. معجم الأدباء –إرشادات الأريب إلى معرفة الأديب– تح، إحسان عباس، ط1،ج6،دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1993،ص2634
47. معجم البلدان ، دون طبعة ، الجزء الأول ، دار بيروت للطباعة والنشر ، لبنان ، دون تاريخ.

ب/ المراجع :

1- المراجع بالعربية :

قائمة المراجع

- أحمد حوالة يوسف:

1. الحياة العلمية في إفريقية ، ـ المغرب الأدنى من إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري ـ ، الطبعة الأولى، الجزءان الأول والثاني، جامعة أم القرى ، مكة ،2000.

- أحمد عزيز:

2. تاريخ صقلية الإسلامية،، تر: لمين وفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980،

- أندري جوليان شارل:

3. تاريخ أفريقيا الشمالية- تونس الجزائر المغرب الاقصي من البدء إلى الفتح الإسلامي ,تعريب :محمد مزالي و البشير بن سلامة ,دون طبعة,الجزء الثاني,الدار التونسية للنشر,تونس,دون تاريخ.

الجزء الثاني .

- برا نشفيك روبر:

4. تاريخ افريقية في العهد الحفصي من 13 إلى نهاية القرن 15،تر:حمادي الساحلي،الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988،

- بل الفريد:

5. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح إلى اليوم ،تح : عبد الرحمان بدوي ،الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامية ،بيروت،1987،

- بونابي الطاهر:

6. التصوف في الجزائر خلال الفرنسيين 6و 7ه/12و13م، دار الهدى لطباعة و النشر ، عين مليلة

- بونار رابح:

7. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981.

- حسن محمد ،

8. المدينة و البادية في العهد الحفصي، دون طبعة ، لجزء الثاني ، شركة أوربس للطباعة ، تونس ، 1999.

- خالدي عبد الحميد

9. الوجود الهلالي السلبي في الجزائر، الطبعة الأولى ، دار هومة، الجزائر،2005

- روجار إدريس الهادي

10. ، الدولة الصنهاجية – تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من ق 10 الى ق 12 م ،الطبعة الأولى، الجزءان الأول والثاني ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1992.

- الزهراني علي بن محمد سعيد:

11. الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212-484هـ /826/1091م) ، معهد البحوث العليمة وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، 1996،

- حسن عبد الوهاب حسن:

12. الإمام المازري ،دون طبعة، دار الكتب الشرقية .

- عويس عبد الحليم:

13. دولة بني حماد،الطبعة الثانية، دار الصحوة لنشر و التوزيع، القاهرة،1991.

- موسى مريان :

14. بنو هلال سيرتهم وتاريخهم أعمال ملتقى دولي، الجزائر من 20 إلأى 23 ماي 1990، المركز الوطني للأبحاث في عصور ماقبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ، الجزائر، 1993.

المراجع بالأجنبية:

- J a que bor que
1 -maghehe hi st oi r e et soci ét é ، «
f oci ol ogi e novel l e si t uat i on ، i mpr i mer i e
nat i onal ، 1872.

الملاحق

– الملحق رقم (01): جدول يحصي الأدباء الذين غادروا القيروان بعد سقوطها

إسم الأديب	تاريخ وفاته	توجهه	المصدر
ابن شرف الجذامي	(ت460هـ/1067)	الأندلس	الدباغ: ج3 ص 195.
ابي الحسن الحصري	(488هـ)	الأندلس طنجة	ابن خلكان: مجلد 3، ص ص331-332.
ابن الرشيق المسيلي	(ت456هـ/1064م)	صقلية	الدباغ: ج3 ،ص 599.
أبو الفضل البغدادي	(ت455ه/1063م)	طليطلة	نفسه: ج3 ، ص154.
محمد عبد المنعم الهواري	(ت 486هـ/1065م)	الأندلس	ابن الأبار: ج2 ، ص157.
ابن فضال الحلواني		الأندلس	روجي إدريس: ج2، ص415
ابن الضلاع المهدوي		الأندلس	نفسه: ج2،ص415.
أبو الطيب المنعم		الأندلس	نفسه: ج2،ص415.
إسم الفقيه	تاريخ وفاته	توجهه	المصدر
عبد العزيز التونسي	(486هـ/1065م)	أغمات	إبن بشكوال : ج1، ص549.
عبد السلام التونسي	--	تلمسان	يحيا اين خلدون: ص 63
أبو الفضل النحوي	(ت513ه/1119م)	قلعة نبي حماد	ابن القنفذ القسنطيني: ص108.
أبو الطاهر بن إسماعيل التونسي	(ت608ه/1211م)	تلمسان	إبن الزيات: ص406.
أبو الطيب ومحرز ومحمد (الإخوة الثلاث)		أغمات	نفسه : ص 162.
الحسن بن عبد الاعلى الكيلاني الصفاقسي	(ت505هـ/1111م)		إبن الأبار: ج2، ص 218.
محمد بن سعدون	(ت485ه/1064م)	أغمات	إبن السراج: ص 96.
عبد الجليل مالدياجي		قلعة بني حماد	روجي إدريس: ج2 ، ص443

– الملحق رقم 02 :خريطة توضح هجرة الأدباء والفقهاء من القيروان عام (499هـ/1057م)[1]

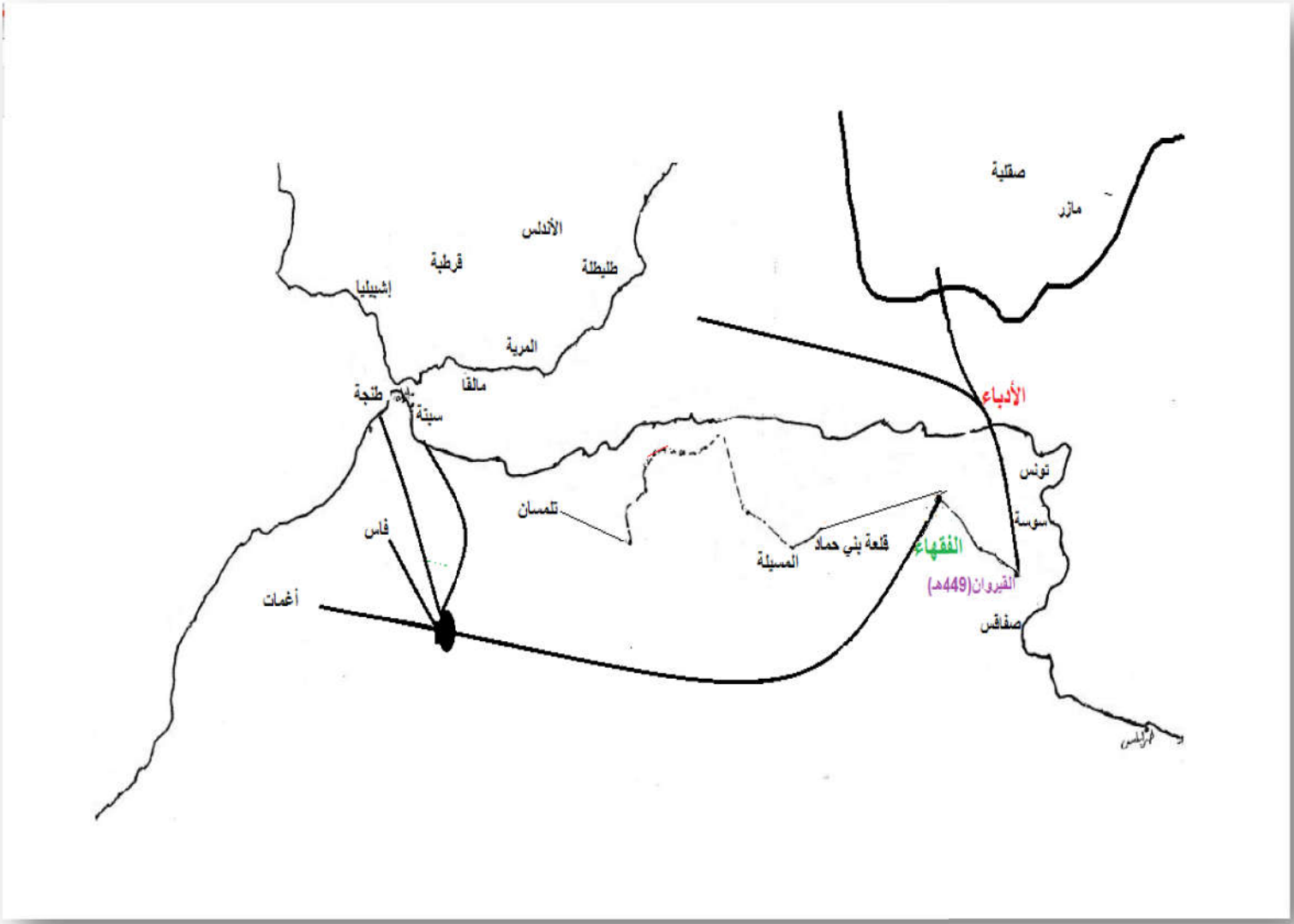

[1] إبن القنفذ القسنطيني: ص 108،ابن الزيات: ص ص 406،110، أنظر الدباغ : ص ص ص 195، 199 ، 154 ح

- الملحق رقم03:

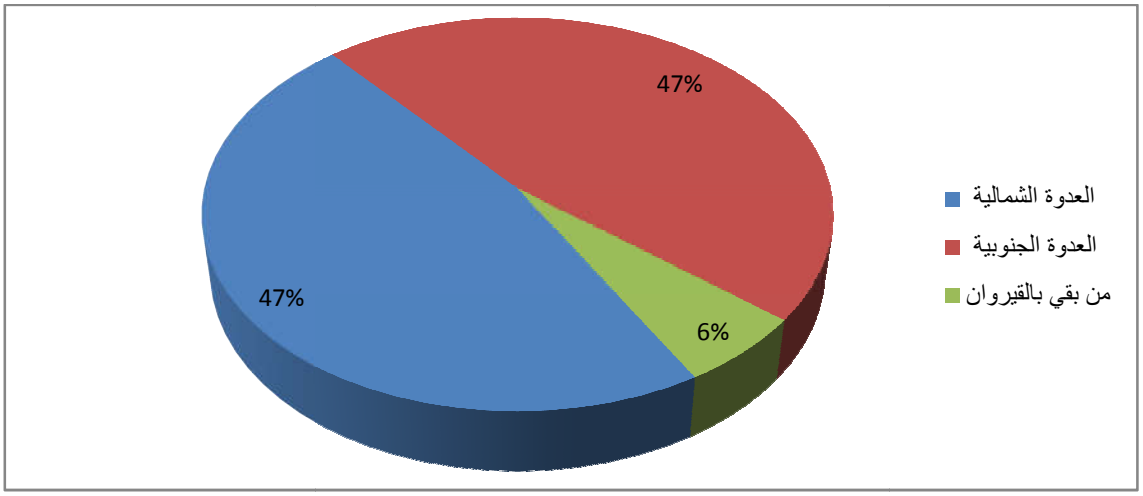

دائرة نسبية توضح نسب توزيع علماء القيروان بعد (449هـ /1057م)

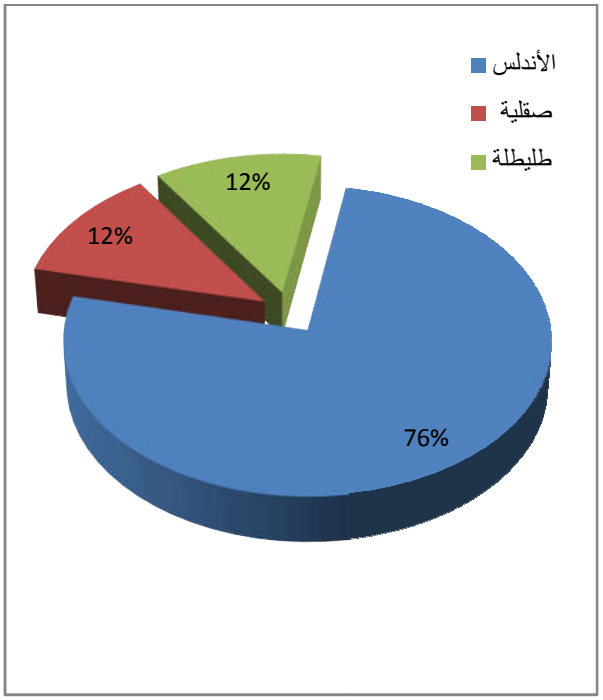

دائرة نسبية توضح وجهة الأدباء في العدوة

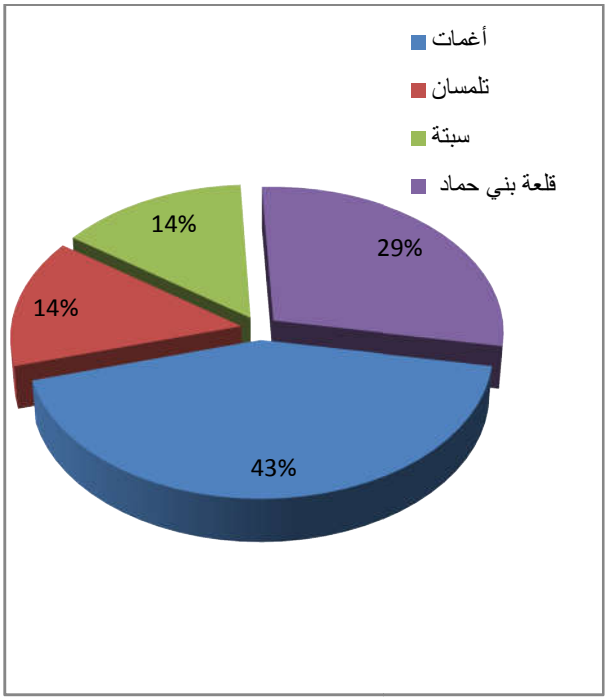

دائرة نسبية توضح وجهة الفقهاء في العدوة الجنوبية

الملحق 04: قصيدة المنفرجة لأبي الفضل النحوي

اشتدي أزمة تنفرجي** قد آذن ليـلك بالبلج

وظـلام الليل له سرج **حتى يغشاه أبو السـرج

وسحـاب الخير له مطر **فإذا جاء الإبـان تجي

وفوائـد مـولانا جمل** لسروح الأنفـس والمهج

ولها أرج محي أبـدا **فاقصـد محيـا ذاك الأرج

فلربما فاض المحيا **بحور الموج من اللـجج

والخلق جميعا في يده **فذوو سعـة وذوو حـرج

ونزولهم و طلوعهم **فعلـي درك وعـــلى درج

ومعايشهم و عواقبهم **ليست في المشي على عوج

حكم نسجت بيـد حكمت**ثم إنتسجت بالمنتسج

فإذا اقـتصدت ثم انعـــرجت** فبمقتصد وبمنعرج

شهدت بعجائبها حجج** قامت بالأمر على الـحجج

ورضا بقضاء الله حجا **فعلى مركوزتـه فعج

وإذا انفتحت أبواب هدى **فاعـجل بخزائنهـا و لج

فإذا حاولت نهايتها **فاحذر إذ ذاك من العرج

لتكون منه السـباق إذا** ما جئت إلى تلك الفرج

فهناك العيش وبهجته **فلمبتهج ولمنتهـج

فهج الأعمال إذا ركدت **فإذا ما هجت إذن تـهج

ومعاصي الله سماجتها **تزدان لذي الخلق السمـح

ولطاعته و صبـاحـتها **أنوار صباح منبلـج

من يخطب حور الخلد بها **يظفر بالحور وبالغنـج

فكن المرضي لها بتقى **ترضاه غدا وتكون نجي

واتل القرآن بقـلب ذي حزن وبصوت فيه شجي

وصلاة اللـيل مسافاتها **فاذهب بهـا بالفهم وجي

وتأملها ومعانيها **تأت الفردوس و تفـزج

واشرب تسنيم مفـجرها** لا ممتزجا وبمـتزج

مدح العقـل لأتـيه هدى **وهــوى متول عنه هجـي

وكتاب الله رياضته** لعقول الخلق بمندرج

وخيار الخلق هداتهم **وسواهم من همج الهمج

فإذا كنت المقدام فلا** تجزع في الحرب من الرهــج

وإذا أبصرت منار هدى **فاظهر فردا فوق الثبج

وإذا اشتاقت نفس وجدت** ألما بالشوق المعتلج

وثنايا الحسنى ضاحكة **وتمام الضحك على الفلج

وعياب الأسرار إجتمعت** بأمانيها تحت الـشرج

والرفق يدوم لصاحبـه **والخرق يصير إلي الهـرج

صلوات الله على المهدي **الهادي الناس إلي النهـج

وأبي بكر في سيـرته **ولسان مقالته اللهـج

وأبي حفـص وكرامتـه **في قصـة سارية الخلج

وأبي عمر ذي النورين **المستحي المستحي البهج

وأبي حسـن في العلم إذا** وافى بسحائبه الخلـج

وعلى السبطين وأمهما **وجميـع الآل بهـم فلج

وعلى الحسنين وأمهما **وجميع الآل بهم فلـج

وعلى الأصحاب بجملتهم **بذلوا الأموال مع المهـج

وعلى أتباعهم العلماء** بعوارف دينهم البهج

وأختم عملي بخواتمهم **لأكون غدا في الحشر نجي

يارب بهم وبآلهم **عجل بالنصر وبالفـرج[1]

[1] http://www.startimes.com/?t=28920109

فهرس الأعلام

ألف

أحمد بن عثمان الربعي الصقلي	34
أسد ابن الفرات	19
الإدريسي	21
الإمام مالك	12-33
أبو إسحاق	12
أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم التونسي	33
أبو الحسن بن عبد الأعلى الكلاني الصفاقسي	33
أبو حامد الغزالي	29،30،32
أب و عبد الله محمد بن سعدون القروي	33
أبو الفضل النحوي	29،30
ابن حسن اليازوري	07
أبي سعيد سحنون	19
ابن الأثير	6،7،7،8،14
ابن أبي الضياف	15
ابن بسام	37،38،39
ابن دحية	23
ابن خلدون عبد الرحمن	8،10،14،16،19،20،23،43،
ابن الرشيق	10، 20 ،23 ، 24، 35، 37، 38 ، 41، 42، 43
ابن السراج	33
ابن سحنون	12، 19،
ابن شرف	23، 25، 35، 36 ، 37، 43، 45.
ابن عذارى	9، 10، 23
ابن قنفذ	30

فهرس الأعلام

ابن المكي	**42**
ابن متكود	**43**
الباء	
البكري	**19**
التاء	
التنبكتي	**30**
الحاء	
الحصري	**35، 39**
حسن عبد الوهاب حسن	**28**
الدال	
الدباغ	**21، 35**
السين	
السيوري	**13، 21.**
العين	
عبد المؤمن بن علي	**32**
عبد الجليل الديباجي	**33**
عبد السلام التونسي	**31،32**
عبد العزيز التونسي	**31،32**
عبد الكريم بن عبد الله المقري الصقلي	**42**
عمر بن عبد العزيز	**18**
الغين	
الغبريني	**12**
الميم	
المازري	**34**
المالكي	**21،34**
المراكشي	**23،26،35**
المعز بن باديس	**6، 7، 8، 9، 10، 15، 19، 22، 23، 24، 25، 37**

المازري	**13 ، 28**
المعز لدين الله الفاطمي	**6**
النون	
النويري	**10، 14**
الواو	
الوزان	**9، 11، 25**
الوزير الجرجرائي	**7**
الونشريسي	**12**

فهرس الأماكن

أغمات	31، 32، 33.
الأندلس	23،25، 28، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 43.
إفريقية	6، 11، 16، 18، 21، 22، 23، 29، 33، 37، 43.
تلمسان	28، 32.
صقلية	23، 25، 28، 34، 35، 37 ، 41، 43.
طليطلة	36.
طنجة	39
فاس	28، 32.
مراكش	28، 32.
قلعة بني حماد	28، 29، 32.
القيروان	6،8، 9، 10، 11، 13، 14، 15، 18، 19، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28،29، 30، 31، 33، 34، 35، 36، 39.
المغرب	7، 11، 16، 18، 25، 28، 29، 32، 34.
المغرب الأقصى	32،33، 34.
المغرب الأوسط	31 ، 32 ،34.
المهدية	10، 24، 28، 37.

شكر وعرفان	
الإهداء	
المقدمة	أ–د
الفصل الأول : **الحضور الهلالي للقيروان و المواقف المختلفة منه.**	
أولا :الحضور الهلالي على القيروان.	**11–6**
1– الهلاليين في المغرب الأدنى.	**9–6**
2– حصار القيروان.	**11–9**
ثانيا: الآراء المختلفة حول الاحتياج الهلالي للقيروان.	**16–11**
1 – موقف الفقهاء.	**13–11**
2 – موقف المؤرخين.	**15–13**
3– آراء المستشرقين.	**16–15**
الفصل الثاني : **تراجع الحياة الفكرية والمذهبية في القيروان .**	
أولا: تراجع العلوم الشرعية (المذهب المالكي) .	**26–18**
1– أوضاع الفقه قبل سقوط القيروان .	**20–18**
2– تقلص الفقه المالكي .	**22–20**
ثانيا: إنكماش الحياة الأدبية بالقيروان.	**26–22**
1– العصر الذهبي للحركة الأدبية الصنهاجية.	**24–22**
2– عصر انحطاط الحياة الأدبية .	**26–24**
الفصل الثالث: **أثر سقوط القيروان على المغرب و صقلية**	
أولا: الأثر الديني (الصوفي ، الفقهي).	**34–28**

1- المغرب الأوسط.	**32-29**
2- المغرب الاقصى.	**33-32**
3- صقلية .	**34-33**
ثانيا: الآثار الأدبية .	**43-35**
1- أهم شعراء القيروان وبروز شعر الثراء.	**41-35**
2- مظاهر تأثير الأدب القيرواني على صقلية.	**43-41**
الخاتمة	**47-45**
قائمة المصادر والمراجع	**57-49**
الملاحق	**64-59**
الفهارس	
فهرس الأعلام	
فهرس الأماكن	